تأصيل الإعجاز العلمي في القرآن والسُّنَّة

للشيخ عبد المجيد الزنداني





المكتبة العصرية
صيدا - بيروت

تأصيل الإعجاز العلمي
في القُرآن والسُّنَّة

فضيلة الشيخ / عبد المجيد الزنداني ـ اليمن
الأستاذ الدكتور / سعاد يلدروم ـ تركيا
فضيلة الشيخ / محمد الأمين ولد الشيخ ـ موريتانيا

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾

[فصلت: ٥٣]

مقدمة

الحمد للَّه والصلاة والسلام على سيدنا رسول اللَّه وعلى آله وصحبه وبعد. . . فإن البشرية تعيش منذ قيام الثورة الصناعية في أوروبا صراعاً بين العلم والدين اتسعت ساحته حتى شمل معظم ميادين العلم والمعرفة في أنحاء العالم.

ولقد شقيت البشرية بهذه المعركة التي كان الدين المحرف هو المتصدر في هذا الصراع حيث رؤي أن الدين خرج منهزماً في حلبة الصراع وبانهزامه بقيت البشرية تتخبط في متاهات الظلام والحيرة، تجرب بدون هدى، وتسير إلى غير هدف، تتجرع غصص الفشل المتكرر وتتكبد مرارته بين الحين والآخر.

لقد حدث هذا في غياب الإسلام عن ساحة المعركة والإسلام هو الدين الحق الذي يتفق مع الحق في كل صوره، بل يحتضن الحق ويدعمه أنى كان، وحيثما كان ومن أية جهة جاء «**الحكمة ضالة المؤمن حيث وجدها فهو أحق بها**»[١].

والإسلام هو الدين الذي يتبنى العلم منهجاً لمعرفة اللَّه سبحانه ومعرفة رسوله ﷺ ومنهجاً لمعرفة الدين نفسه وتبين صدقه ولمعرفة الوجود من حولنا. وحسبنا قول ربنا جل وعلا: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

وقوله: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ . . .﴾ [محمد: ١٩].

ولقد تنبه علماء المسلمين إلى هذا الصراع الدائر بين العلم والدين المحرف وإلى محاولة أعداء الإسلام نقل المعركة إلى بلاد المسلمين فبدأوا يكتبون عن الإسلام والعلم فإذا بهم يضعون أيديهم على معجزة تجلت في

(١) الترمذي كتاب العلم باب ما جاء في فضل العلم على العبادة ٥/ ٥١.

هذا العصر أيد اللَّه بها دينه الحق ألا وهي: «**الإعجاز العلمي في القرآن والسُّنة**».

وكان ذلك تحقيقاً لوعده جل وعلا ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ . . .﴾ [فصلت: ٥٣].

وبدأت الكتابات تتوالى في هذا الباب، ومنها ما أجاد فيها أصحابها ومنها ما يحتاج إلى تصويب وتقويم.

ولذلك بادر المجلس العالمي الأعلى للمسجد باتخاذ قرار إنشاء هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسُّنة ليكون من أولى مهماتها:

١ ـ تطوير أبحاث الإعجاز العلمي.

٢ ـ تمحيص وتقويم ما يكتب في هذا المجال.

٣ ـ نشر الصالح من هذه البحوث.

٤ ـ وضع الضوابط للكتابة في هذا الموضوع.

وتحقيقاً لذلك قامت الهيئة بعقد المؤتمر العالمي الأول للإعجاز العلمي في القرآن والسُّنة بالتعاون مع رابطة العالم الإسلامي والجامعة الإسلامية العالمية في إسلام آباد بباكستان في الفترة من ٢٥ ـ ٢٨ صفر ١٤٠٨هـ الموافق ١٨ ـ ٢١/ ١٠/ ١٩٨٧م وكان من أهم ما عرض في هذا المؤتمر بحوث التأصيل لهذا العلم الجديد في عصرنا.

ويسر الهيئة أن تقدم للباحثين وللقراء عموماً بعض بحوث التأصيل التي قررت الهيئة ـ في اجتماعها مع اللجنة الاستشارية في ١٤ ـ ١٦ رمضان ١٤٠٩هـ نشرها للاستفادة منها.

كما يسر الهيئة أن تلحق بها توصيات المؤتمر.

سائلة المولى جل وعلا أن يأخذ بأيدي العاملين للإسلام وأن يوفقهم ويهديهم سواء السبيل وآخر دعوانا أن الحمد للَّه رب العالمين.

١

المعجزة العلمية في القرآن والسُّنة

الشيخ عبد المجيد الزنداني
أمين هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسُّنة

تقديم

بقلم: سماحة الشيخ
جاد الحق علي جاد الحق ـ شيخ الأزهر

الحمد للَّه علم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على رسول اللَّه، محمد ﷺ الذي خاطبه ربه بقوله: ﴿... وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣]... وعلى آله وأصحابه الذين حملوا مشاعل علوم هذه الرسالة فأصلوا وفصلوا ما فيها من كنوز....

وبعد:

فمع كثرة الشواغل وتزاحم الأعمال: طالعت على عجل البحث المقدم من السيد الشيخ عبد المجيد الزنداني بعنوان «المعجزة العلمية في القرآن والسُّنة»... وقد ساق فيه جملة من الأفكار التي تخدم بحثه مستنداً فيها على الأدلة النقلية من الكتاب والسُّنة، وعلى الأدلة العقلية التي تستمد دلالاتها من الواقع المحس، وتعتمد على نتائج النظريات والتجارب العلمية الحديثة...

ولقد بدأ البحث بحد عرف فيه الإعجاز، ثم عرّف الإعجاز العلمي في القرآن والسُّنة.

ثم تحدث عن أن لكل رسول معجزة تناسب ما تميز به قومه وقال: إن المعجزة العلمية هي التي تناسب الرسالة العالمية الخاتمة والمستويات البشرية المختلفة، وأنه قد حان الوقت لاستظهار رؤية حقائق العلم الذي أنبأ به القرآن والسُّنة وساق لذلك أمثلة متعددة من أنباء الأرض والسماء في القرآن والسُّنة، التي تجلت في عصر الاكتشافات ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ...﴾ [فصلت: ٥٣]. ﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٦٧] ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَـٰلَمِينَ ۝ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ﴾ [ص: ٨٧، ٨٨] وغير ذلك من الآيات. وجاء في ذلك بأقوال السلف من المفسرين والمحدثين وغيرهم.

وقد خلص إلى أن أبحاث الإعجاز العلمي وقواعده ضرب من التفسير

للقرآن يدخل تحت النوع الثالث من الأنواع الأربعة، التي ذكرها ابن عباس رضي اللَّه عنهما في قوله: التفسير على أربعة أوجه:

١ ـ وجه تعرفه العرب من كلامها.

٢ ـ تفسير لا يعذر أحد بجهالته.

٣ ـ تفسير يعلمه العلماء.

٤ ـ تفسير لا يعلمه إلا اللَّه.

ثم تحدث عن الفرق بين التفسير العلمي والإعجاز العلمي، وأبان عن مصادر أبحاث الإعجاز العلمي، وأنها فرع من فروع التفسير وجزء من شرح الحديث وإنه لما كانت هذه المصادر قائمة على إظهار التوافق بين نصوص الوحي وبين ما كشف العلم التجريبي من حقائق الكون وأسراره، فهي كذلك تقوم على مصادر العلوم التجريبية إلى جانب العلم المتعلق بتاريخها.

وقد تناول قواعد أبحاث الإعجاز العلمي، وصاغها ورتبها بما يجعلها تحيط بالموضوع، جامعة موجهة لمن يتصدى لهذه الأبحاث عن علم وهدى، مانعة لمن قعدت به مواهبه، عن إدراكها، وغابت عنه مصطلحات هذا العلم، ودلالات النصوص الظنية منها والقطعية، وما قد يقع بينها من توافق أو تعارض على نحو ما أجمل وفصل في هذا البحث المفيد.

ثم تحدث عن أوجه الإعجاز العلمي وأوجزها في نقاط خمسة، وبين أهمية أبحاث الإعجاز العلمي وثمارها.

واختتم البحث ببيان ميادين أبحاث الإعجاز العلمي مشيراً إلى أنها المجالات الكونية التي جاء ذكرها أو الإشارة إليها في القرآن والسُّنة، وتمكن العلم البشري من كشف أسرارها، وذلك إلى جانب الميادين التي يحتاجها الباحث لتفسير النصوص الشرعية تفسيراً صحيحاً لا شطط فيه مع معرفة بتاريخ العلوم وتقدمها.

وأضاف أن مسائل أبحاث الإعجاز العلمي: هي المسائل التي يتصدى الباحث لحلها، وأنها تجمع القضايا الشرعية، والكونية، والتاريخية، التي تبرز جوانب المعجزة العلمية في آيات اللَّه الكونية والنفسية.

وإذ أقدم هذا البحث أشكر للأخ الجليل الشيخ عبد المجيد الزنداني هذا الجهد في خدمة العلم والدين، فإن الإسلام كرم العلم وحث على الاستزادة والنظر المستمر في خلق اللَّه استثماراً في هذه الدنيا من خير للإنسان في دينه ودنياه وليزداد الذين آمنوا إيماناً، وليذكر أولو الألباب.

واللَّه المستعان وهو ولي التوفيق. . .

المعجزة العلمية في القرآن والسُّنة

الإعجاز العلمي:

تعريف الإعجاز: الإعجاز مشتق من العجز، والعجز: الضعف أو عدم القدرة.

والإعجاز مصدر أعجز: وهو بمعنى الفوت والسبق[١].

والمعجزة في اصطلاح العلماء: أمر خارق للعادة، مقرون بالتحدي، سالم من المعارضة[٢].

وإعجاز القرآن: يقصد به: إعجاز القرآن الناس أن يأتوا بمثله. أي نسبة العجز إلى الناس بسبب عدم قدرتهم على الإتيان بمثله.

تعريف العلم: وصف الإعجاز هنا بأنه علمي نسبة إلى العلم.

والعلم: هو إدراك الأشياء على حقائقها. أو هو صفة ينكشف بها المطلوب انكشافاً تاماً[٣].

والمقصود بالعلم في هذا المقام: العلم التجريبي. وعليه فيعرف الإعجاز العلمي بما يلي:

تعريف الإعجاز العلمي:

هو إخبار القرآن الكريم أو السُّنة النبوية بحقيقة أثبتها العلم التجريبي، وثبت عدم إمكانية إدراكها بالوسائل البشرية في زمن الرسول ﷺ.

وهذا مما يظهر صدق الرسول محمد ﷺ فيما أخبر به عن ربه سبحانه.

---

(١) انظر لسان العرب لابن منظور (مادة عجز) ٥/ ٣٧٠ ط. دار بيروت، والمفردات للراغب الأصفهاني ص ٣٢٢.

(٢) انظر معنى ذلك في تفسير القرطبي ١/ ٩٦ وفتح الباري ٦/ ٥٨١.

(٣) راجع الراغب الأصفهاني: المفردات ص ٣٤٣؛ والشوكاني: إرشاد الفحول ص ٤.

لكل رسول معجزة تناسب قومه ومدة رسالته:

ولما كان الرسل قبل محمد ﷺ يبعثون إلى أقوامهم خاصة، ولأزمنة محدودة فقد أيدهم اللَّه ببينات حسية مثل: عصا موسى عليه السلام، وإحياء الموتى بإذن اللَّه على يد عيسى عليه السلام، وتستمر هذه البينات الحسية محتفظة بقوة إقناعها في الزمن المحدد لرسالة كل رسول، فإذا حرف الناس دين اللَّه بعث اللَّه رسولاً آخر بالدين الذي يرضاه، وبمعجزة جديدة، وبينة مشاهدة.

المعجزة العلمية تناسب الرسالة الخاتمة والمستويات البشرية المختلفة:

ولما ختم اللَّه النبوة بمحمد ﷺ ضمن له حفظ دينه، وأيده ببينة كبرى تبقى بين أيدي الناس إلى قيام الساعة، قال تعالى: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ . . .﴾ [الأنعام: ١٩] ومن ذلك ما يتصل بالمعجزة العلمية.

وقال تعالى: ﴿لَّكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ . . .﴾[النساء: ١٦٦].

وفي هذه الآية، التي نزلت رداً على تكذيب الكافرين، بنبوة محمد[١] ﷺ بيان لطبيعة المعجزة العلمية، التي تبقى بين يدي الناس، وتتجدد مع كل فتح بشري في آفاق العلوم، والمعارف ذات الصلة بمعاني الوحي الإلهي.

قال الخازن عند تفسير هذه الآية:

«لكن اللَّه يشهد لك يا محمد بالنبوة، بواسطة هذا القرآن، الذي أنزله عليك»[٢].

وقال ابن كثير:

«فاللَّه يشهد لك بأنك رسوله، الذي أنزل عليه الكتاب، وهو القرآن العظيم. . . ولهذا قال: أنزله بعلمه: أي فيه علمه الذي أراد أن يطلع العباد

---

(١) انظر سبب النزول ابن الجوزي: ٢/ ٢٥٧؛ الطبري: ٥/ ١٢٢؛ ابن كثير: ١/ ٥٩٠؛ الجلالين: ص ١٣٧.

(٢) الخازن في مجموعة من التفاسير: ٢/ ٢١٠.

عليه، من البينات والهدى، والفرقان، وما يحبه اللَّه ويرضاه، وما يكرهه ويأباه، وما فيه من العلم بالغيوب، من الماضي والمستقبل»[(١)].

وقال أبو العباس بن تيمية:

فإن شهادته بما أنزل إليه، هي شهادته بأن اللَّه أنزله منه، وأنه أنزله بعلمه، فما فيه من الخبر، هو خبر عن علم اللَّه، وليس خبراً عمن دونه، وهذا كقوله: ﴿فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ . . .﴾ [هود: ١٤].

وليس معنى مجرد كونه أنزله أنه معلوم له، فإن جميع الأشياء معلومة له، وليس في ذلك ما يدل على أنها حق، لكن المعنى: أنزله فيه علمه، كما يقال: فلان يتكلم بعلم، فهو سبحانه أنزله بعلمه، كما قال: ﴿قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ . . .﴾[(٢)] [الفرقان: ٦].

وإلى هذا المعنى ذهب كثير من المفسرين[(٣)].

وهكذا تسطع بينة الوحي، المنزل على محمد ﷺ بما نزله فيه من علم إلٰهي، يدركه الناس في كل زمان ومكان، ويتجدد على مر العصور، ولذلك قال:

«ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحياً، أوحاه اللَّه إلي، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة»[(٤)].

قال ابن حجر عند شرحه لهذا الحديث:

«ومعجزة القرآن مستمرة إلى يوم القيامة، وخرقه للعادة في أسلوبه، وفي بلاغته، وإخباره بالمغيبات، فلا يمر عصر من الأعصار، إلا ويظهر فيه شيء مما أخبر به أنه سيكون، يدل على صحة دعواه. . . فعم نفعه من حضر، ومن غاب، ومن وجد، ومن سيوجد»[(٥)].

---

(١) ابن كثير: ١/ ٥٦٠. (٢) الفتاوى: ١٤/ ١٩٦.

(٣) ابن الجوزي: ٢/ ٢٥٧؛ الزمخشري: ١/ ٥٨٤؛ أبو حيان: ٣/ ٣٩٩؛ الألوسي: ٦/ ١٩ ـ ٢٠؛ الشوكاني: ١/ ٥٣٩؛ البيضاوي والنسفي والخازن في كتاب مجموعة من التفاسير: ٢/ ٢١٠؛ الجلالين: ص ١٣٧.

(٤) البخاري: فتح الباري: ٩/ ٣، مسلم ـ كتاب الإيمان.

(٥) فتح الباري لابن حجر: ٩/ ٧.

﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ * وَلَتَعۡلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعۡدَ حِينِۭ﴾ [صٓ: ٨٧، ٨٨].

وبينة القرآن العلمية يدركها العربي والأعجمي، وتبقى ظاهرة متجددة إلى قيام الساعة.

ففي القرآن أنباء تعرف المقصود منها، لأنها بلسان عربي مبين، لكن حقائقها وكيفياتها لا تتجلى إلا بعد حين.

قال تعالى: ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ * وَلَتَعۡلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعۡدَ حِينِۭ﴾ [صٓ: ٨٧، ٨٨].

قال الفراء في تفسير الحين الذي ذكرته الآية أنه:

«بعد الموت وقبله أي لتظهر لكم حقيقة ما أقول (بعد حين) أي في المستأنف»(١).

وذهب السدي الكبير إلى هذا المعنى(٢).

وقال ابن جرير الطبري، بعد ذكر الأقوال المتعددة، في تفسير الحين الذي ذكرته الآية:

(وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، أن يقال: إن اللَّه أعلم المشركين بهذا القرآن أنهم يعلمون نبأه بعد حين، من غير حد منه لذلك الحين بحد، ولا حد عند العرب للحين، لا يجاوز ولا يقصر عنه، فإذا كان ذلك كذلك، فلا قول فيه أصح من أن يطلق، كما أطلقه اللَّه، من غير حصر ذلك على وقت دون وقت)(٣) اهـ.

﴿لِّكُلِّ نَبَإٖ مُّسۡتَقَرّٞۚ وَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٦٧].

وشاء اللَّه أن يجعل لكل نبأ زمناً خاصاً يتحقق فيه، فإذا تجلى الحدث ماثلاً للعيان أشرقت المعاني، التي كانت تدل عليها الحروف والألفاظ في القرآن، وتتجدد المعجزة العلمية عبر الزمان، وإلى هذا الزمن أشار القرآن في قوله تعالى: ﴿لِّكُلِّ نَبَإٖ مُّسۡتَقَرّٞۚ وَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٦٧].

ويبقى النبأ الإلٰهي محيطاً بكل الصور، التي يتجدد ظهورها عبر القرون.

---

(١) القرطبي: ١٥/ ٢٣١.
(٢) أبو حيان: ٧/ ٤١٢.
(٣) الطبري: ٢٣/ ١٢١.

وقال ابن جرير الطبري:

«لكل نبأ مستقر، يقول: لكل خبر مستقر، يعني قرار يستقر عنده، ونهاية ينتهي إليها ليتبين حقه وصدقه، من كذبه وباطله.

يقول: وسوف تعلمون أيها المكذبون بصحة ما أخبر به»[١].

وقال ابن كثير:

قال ابن عباس وغير واحد: أي لكل نبأ حقيقة، أي لكل خبر وقوع، ولو بعد حين، كما قال تعالى: ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ﴾ [ص: ٨٨]. وقال: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ [الرعد: ٣٨][٢].

إلى هذا ذهب كثير من المفسرين[٣].

أنباء الأرض والسماء في القرآن والسُّنة، تتجلى في عصر الاكتشافات:

وأن خبر القرآن والسُّنة، وما فيهما من أوصاف لما في الأرض والسماء، هو نبأ إلٰهي عما في الأرض والسماء، ممن هو أعلم بما خلق فيهما من أسرار.

قال تعالى: ﴿. . . قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ . . .﴾ [يونس: ١٨] فالخبر بما في الأرض والسماء، نبأ عما في الأرض والسماء.

ولقد زخر القرآن والسُّنة، بأنباء الكون وأسراره، وتفجرت في عصرنا علوم الإنسان، باكتشافاته المتتالية، لآفاق الأرض والسماء فحان الحين لرؤية حقائق العلم، الذي نزل به الوحي في القرآن والسُّنة.

﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ﴾ [فصلت: ٥٣].

ولقد أعلنت البشرية اليوم قبولها العلم طريقاً إلى معرفة الحق، بعد أن كبلت طويلاً بأغلال التقليد الأعمى، فشيدت للعلم البناء، وفرغت لخدمته العلماء، ورصدت له الأموال، وما أن وقفت العلوم التجريبية على قدميها إلا

(١) الطبري: ٧/ ١٤٧.

(٢) ابن كثير: ٢/ ١٤٤.

(٣) القرطبي: ٧/ ١١١؛ الشوكاني: ٢/ ١٢٨؛ الرازي: ٧/ ٢٥ ـ ٢٦؛ القاسمي: ٦/ ٥٧٥؛ أبو السعود: ٣/ ١٤٧؛ البقاعي: ٧/ ١٤٥ ـ ١٤٦.

وبدأت في تأدية رسالتها، التي حدد اللَّه لها في جعلها طريقاً إلى الإيمان به، وشاهداً على صدق رسوله.

لقد نزل القرآن في عصر انتشار الجهل، وشيوع الخرافة، والكهانة، والسحر، والتنجيم، في العالم كله، وكان للعرب النصيب الأوفى، من هذه الجاهلية والأمية، كما بين القرآن ذلك بقوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢].

لقد نزل القرآن على قوم استماتوا في الصد عنه، دفاعاً عن أصنامهم، التي كانوا عليها عاكفين، وتعلقاً بما آمنوا به من خرافات السحر، والكهانة، والتنجيم، وأوهام الأزلام، والتشاؤم من بعض الشهور، ومن مرور بعض أنواع الحيوان، وجادلوا عن ضلالتهم في طلب الحماية من ملوك الجان، في الشعاب والوديان.

وهذا مثل من الضلال الفكري، الذي كان عليه العرب عند نزول القرآن وكان العرب أمة أمية، وبعد أن حثهم رسول اللَّه ﷺ على القراءة والكتابة والعلم والحساب، لم يجدوا أمامهم من أدوات الكتابة إلا الجلود، والأحجار الرقيقة، وعسب النخل، وعليها كانوا يكتبون(١).

في ذلك العصر، وعلى تلك الأمة، نزل الوحي، وفيه علم اللَّه، يصف أسرار الخلق في شتى الآفاق، ويجلي دقائق الخلق في النفس البشرية، يقرر البداية، ويصف أسرار الحاضر، ويكشف غيث المستقبل الذي ستكون عليه سائر المخلوقات.

وعندما دخل الإنسان في عصر الاكتشافات العلمية، وامتلك أدق الأجهزة للبحث العلمي، وتمكن من حشد الجيوش من الباحثين، في شتى الآفاق، وجمعهم في ميادينه، على اختلاف الأجناس، يبحثون عن الأسرار المحجوبة في آفاق الأرض والسماء، وفي مجالات النفس البشرية، يجمعون

---

(١) قال زيد بن ثابت عندما أمره أبو بكر الصديق أن يجمع القرآن بعد أن كثر الشهداء من حفظة القرآن: فتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال (رواه البخاري ـ كتاب فضائل القرآن). والعسب: جمع عسيب وهو جريد النخل. واللخاف: الحجارة الرقاق.

المقدمات، ويرصدون النتائج، في رحلة طويلة عبر القرون، فإذا ما تكاملت الصورة، وتجلت الحقيقة وقعت المفاجأة الكبرى، بتجلي أنوار الوحي الإلٰهي، الذي نزل على محمد ﷺ قبل ألف وأربعمائة عام، بذكر تلك الحقيقة في آية من القرآن أو بعض آية، أو في حديث لرسول اللَّه ـ أو بعض حديث بدقة علمية معجزة، وعبارات مشرقة، وبهذا أنبأنا القرآن.

قال تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ۞ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: ٥٢، ٥٣] فهيا لنتدبر بعض معاني هذا النص القرآني:

لقد ورد الأفق في اللغة بمعنى: ما ظهر من نواحي الفلك وأطراف الأرض، وآفاق السماء: نواحيها[(١)] وآيات اللَّه في آفاق الأرض والسماء تحمل معاني ثلاثة:

الأول: المخلوقات التي خلقها اللَّه في شتى آفاق الأرض والسماء مثل قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ . . .﴾ [الشورى: ٢٩].

الثاني: آيات القرآن التي تخبر وتصف أنواع المخلوقات، وهي آيات كثيرة.

الثالث: البينات والمعجزات التي يظهرها اللَّه تصديقاً للرسول ﷺ في شتى آفاق الأرض والسماء برؤية مصداقها من حقائق الخلق حيناً بعد حين.

قال الشوكاني:

﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ﴾ [فصلت: ٥٣]: سنريهم صدق دلالات صدق القرآن، وعلامة كونه من عند اللَّه في الآفاق وفي أنفسهم. . . والمعنى: سنريهم آياتنا في النواحي وفي أنفسهم[(٢)].

وقال ابن كثير:

﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾: أي ستظهر لهم دلالاتنا،

---

(١) انظر مقاييس اللغة لابن فارس: ١/ ١١٤ ـ ١١٥؛ لسان العرب: ١٠/ ٥ ـ ٦؛ الصحاح للجوهري: ٤/ ١٤٤٦؛ تاج العروس: ١/ ٢٧٩؛ المفردات للأصفهاني: ١٩.

(٢) فتح القدير: ٤/ ٥٢٣.

وحججنا، على كون القرآن حقاً منزلاً من عند اللَّه، على رسول اللَّه ﷺ بدلائل خارجية في الآفاق[١].

وقال الزمخشري:

ومعناه أن هذا الموعود، من إظهار آيات اللَّه في الآفاق، وفي أنفسهم سيرونه ويشاهدونه، فيتبينون عند ذلك أن القرآن تنزيل عالم الغيب، الذي هو على كل شيء شهيد، أي مطَّلع ومهيمن، يستوي عنده غيبه وشهادته، فيكفيهم ذلك دليلاً على أنه حق وأنه من عنده[٢].

بهذا قال كثير من المفسرين عند تفسير قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣].

وقال أبو العباس بن تيمية:

وأما الطريق العياني: فهو أن يرى العباد من الآيات الأفقية والنفسية، ما يبين لهم أن الوحي الذي بلغته الرسل عن اللَّه حق، كما قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْأَفَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: ٥٣] أي: أولم يكف بشهادته المخبرة بما في علمه، وهو الوحي الذي أخبر به الرسول ﷺ فإن اللَّه على كل شيء شهيد وعليم به[٣].

ولقد قرر عطاء وابن يزيد أن معنى (الآفاق) المذكورة في الآية هو ما نقله عنهما القرطبي في تفسيره:

«وقال عطاء وابن زيد أيضاً: في (الآفاق) يعني أقطار السموات والأرض، من الشمس والقمر، والنجوم والليل والنهار، والرياح والأمطار، والرعد والبرق، والصواعق، والنبات والأشجار، والجبال والبحار، وغيرها»[٤].

وروى هذا عنهما عدد من أئمة التفسير[٥].

---

(١) تفسير ابن كثير: ٤/ ١٠٦.

(٢) الكشاف: ٣/ ٤٥٨.

(٣) الفتاوى: ١٤/ ١٨٩.

(٤) القرطبي: ١٥/ ٣٧٤ ـ ٣٧٥.

(٥) انظر: الطبري: ٢٥/ ٢٤؛ أبو حيان: ٧/ ٥٠٥؛ الخازن في مجموعة من التفاسير: ٥/ ٣٩٥؛ الشوكاني: ٤/ ٥٢٣.

وفي الجلالين:

﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ﴾: أقطار السموات والأرض من النيران والنبات والأشجار.

﴿وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [فصلت: ٥٣]: من لطيف الصنعة وبديع الحكمة[١].

فهذه آيات اللَّه في كتابه تتحدث عن آياته في مخلوقاته، وتتجلى بمعجزة علمية بينة تسطع في عصر الكشوف العلمية في آفاق الكون.

اللقاء حتمي والمعجزة واقعة:

إننا على وعد من اللَّه عز وجل بأن يرينا آياته، فيتحقق لنا ـ بهذه الرؤية ـ العلم الدقيق بمعاني هذه الآيات، قال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا . . .﴾ [النمل: ٩٣].

ومخلوقاته من آياته، ومنها ما جاء في القرآن وصفاً ونبأ عن آياته في السموات والأرض.

وروى الطبري عن ابن أبي نجيح وابن جريج عن مجاهد، أنه قال في تفسير هذه الآية:

«قوله: ﴿سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا﴾ [النمل: ٩٣] قال: في أنفسكم والسماء والأرض والرزق»[٢].

وقال ابن كثير في تفسير الآية:

«أي الحمد للَّه الذي لا يعذب أحداً إلا بعد قيام الحجة عليه والإنذار إليه، ولهذا قال تعالى: ﴿سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا﴾، كما قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣]»[٣].

وبمثل هذا قال القرطبي في تفسيره[٤]. والألوسي في تفسيره[٥].

---

(١) الجلالين: ٦٣٨.

(٢) الطبري: ٢٠/١٨.

(٣) ابن كثير: ٣/ ٣٨٠.

(٤) القرطبي: ١٣/ ٢٤٦.

(٥) الألوسي: ٢٠/ ٤٠.

وقال أبو حيان في البحر المحيط:

«سيريكم آياته: تهديد لأعدائه بما يريهم اللَّه من آياته، التي تضطرهم إلى معرفتها، والإقرار أنها آيات اللَّه... وقيل آياته في أنفسكم، وسائر ما خلق، مثل قوله: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [فصلت: ٥٣]».

وقيل معجزات الرسول، وأضافها إليه لأنه هو مجريها، على يدي الرسول، ومظهرها من جهته[(١)].

وبمثل ما قال أبو حيان، قال البقاعي، في نظم الدرر[(٢)]:

ومما سبق يتبين لنا أن البشرية على موعد من اللَّه متجدد ومستمر بكشف آياته في الكون، وفي كتابه أمام الأبصار، لتقوم الحجة وتظهر المعجزة.

إنه الوحي في القرآن والسُّنة، يفيض بالخبر عن أوصاف المخلوقات، وهذه الأبحاث العلميّة التجريبية، تتجه بدراستها وبحثها إلى نفس الميدان، الذي وصفه القرآن، وتحدث عن الرسول ﷺ فاللقاء حتمي، والمعجزة لا شك واقعة.

لقد جاءت العلوم البشرية التجريبية شاهدة بصدق ما أخبر به القرآن، من تحريف سائر الأديان[(٣)] وجاءت شاهدة ومجلية لدقائق المعاني، في الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، ذات التعلق بالأمور الكونية. وهذه مناكب دعاة الإسلام، على اختلاف تخصصاتهم العلمية، تتزاحم لبيان هذه المعجزات العلمية، وبدأ عدد من كبار علماء الكون، من غير المسلمين، يتجهون إلى نفس الميدان[(٤)]، فمنهم من أسلم[(٥)]، ومنهم من شهد بحقيقة

---

(١) أبو حيان: ٧/ ١٠٣.

(٢) البقاعي: ١٤/ ٢٢٩ ـ ٢٣٠.

(٣) انظر الكتاب الذي ألفه الطبيب الفرنسي المشهور: موريس بوكاي بعنوان: «التوراة والإنجيل والقرآن في ضوء المعارف العلمية الحديثة»، وأثبت فيه تحريف التوراة والإنجيل وصدامهما مع العلم، وسلامة القرآن من التحريف وسبقه للعلوم الحديثة.

(٤) انظر الأبحاث التي شارك فيها سبعة من كبار علماء الأجنة والتشريح وأمراض النساء، من غير المسلمين في لجنة الإعجاز العلمي في القرآن والسُّنة، في القاعة الكبرى في المؤتمر الطبي السعودي الثامن المنعقد في الرياض، في محرم عام ١٤٠٤هـ.

(٥) مثل البرفيسور: تاجاتات تاجاسن الذي أعلن إسلامه في قاعة المؤتمر الطبي السعودي الثامن في نهاية أبحاث الإعجاز العلمي.

المعجزة العلمية، فحان حين تجلى معاني كثير من آيات القرآن الكونية، وعدد ـ في نفس المجال ـ من الأحاديث النبوية و﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٦٧].

وإذا كان النقص يعتري بعض الدراسات، في مجال الإعجاز العلمي، في القرآن والسُّنة، فلا يصح أن يكون ذلك حكماً على جميعها، وإن هذا ليوجب على القادرين من علماء الإسلام، أن يسارعوا لخدمة القرآن والسُّنة، في مجال العلوم الكونية، كما خدمهما السلف، في مجال اللغة والأصول، والفقه، وغيرها من مجالات العلوم الشرعية، فنحن أمام معجزة علمية كبرى، تنحني أمامها جباه المنصفين من قادة العلوم الكونية في عصرنا.

فالإعجاز العلمي أكده ذلك النوع من التفسير، الذي يعلمه علماء المسلمين، الذين يعلمون بأسرار المخلوقات كما أشارت هذه الآيات الكريمة:

﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ * فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ * وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٩٥ ـ ٩٧]. يعلمون بآيات القرآن، وآيات الأكوان، وهناك فرق بين التفسير العلمي والإعجاز العلمي.

الفرق بين التفسير العلمي والإعجاز العلمي:

فالتفسير العلمي: هو الكشف عن معاني الآية أو الحديث في ضوء ما ترجحت صحته من نظريات العلوم الكونية.

أما الإعجاز العلمي: فهو إخبار القرآن الكريم، أو السُّنة النبوية، بحقيقة أثبتها العلم التجريبي أخيراً، وثبت عدم إمكانية إدراكها بالوسائل البشرية، في زمن الرسول ﷺ.

وهكذا يظهر اشتمال القرآن أو الحديث على الحقيقة الكونية، التي يؤول إليها معنى الآية أو الحديث، ويشاهد الناس مصداقها في الكون، فيستقر عندها التفسير، ويعلم بها التأويل، كما قال تعالى: ﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٦٧].

وقد تتجلى مشاهد أخرى كونية عبر القرون، تزيد المعنى المستقر وضوحاً وعمقاً وشمولاً لأن الرسول ﷺ قد أوتي جوامع الكلم[١] فيزداد بها الإعجاز عمقاً وشمولاً، كما تزداد السُّنة الكونية وضوحاً بكثرة شواهدها المندرجة تحت حكمها.

مصادر أبحاث الإعجاز العلمي:

ولما كانت أبحاث الإعجاز العلمي متعلقة بالتفسير العلمي للآيات الكونية، ومتصلة بشرح الأحاديث في هذه المجالات، فهي فرع من فروع التفسير، وجزء من شرح الحديث وتقوم على مصادر هذين العلمين، ولما كانت قائمة على إظهار التوافق بين نصوص الوحي وبين ما كشف العلم التجريبي من حقائق الكون وأسراره، فهي كذلك تقوم على مصادر العلوم التجريبية، إلى جانب العلم المتعلق بتاريخها، كما تتصل أيضاً بعلم أصول الدين.

قواعد أبحاث الإعجاز العلمي:

ولقد قامت هذه الأبحاث على قواعد نوجزها فيما يلي: ـ

أ ـ علم اللَّه هو العلم الشامل المحيط الذي لا يعتريه خطأ، ولا يشوبه نقص، وعلم الإنسان محدود، يقبل الازدياد، ومعرض للخطأ.

ب ـ هناك نصوص من الوحي قطعية الدلالة، كما أن هناك حقائق علمية كونية قطعية.

ج ـ وفي الوحي نصوص ظنية في دلالتها، وفي العلم نظريات ظنية في ثبوتها.

د ـ ولا يمكن أن يقع صدام بين قطعي من الوحي وقطعي من العلم التجريبي، فإن وقع في الظاهر، فلا بد أن هناك خللاً في اعتبار قطعية أحدهما[٢].

---

(١) انظر فتح الباري: ١٣/٢٤٧.

(٢) هذه قاعدة جليلة يقررها علماء المسلمين، وألف أبو العباس بن تيمية كتاباً من أحد عشر مجلداً لبيانها تحت عنوان: «درء تعارض العقل والنقل».

هـ ـ عندما يري اللَّه عباده آية من آياته، في الآفاق أو في الأنفس مصدقة لآية في كتابه، أو حديث من أحاديث رسوله يتضح المعنى، ويكتمل التوافق، ويستقر التفسير، وتتحدد دلالات ألفاظ النصوص، بما كشف من حقائق علمية وهذا هو الإعجاز.

و ـ إن نصوص الوحي قد نزلت بألفاظ جامعة[١] تحيط بكل المعاني الصحيحة في مواضيعها التي قد تتتابع في ظهورها جيلاً بعد جيل.

ز ـ إذا وقع التعارض بين دلالة قطعية للنص، وبين نظرية علمية رفضت هذه النظرية، لأن النص وحي من الذي أحاط بك شيء علماً، وإذا وقع التوافق بينهما كان النص دليلاً على صحة تلك النظرية، وإذا كان النص ظنياً والحقيقة العلمية قطعية يؤول النص بها.

ح ـ وإذا وقع التعارض بين حقيقة علمية قطعية، وبين حديث ظني في ثبوته، فيؤول الظني من الحديث، ليتفق مع الحقيقة القطعية، وحيث لا يوجد مجال للتوفيق فيقدم القطعي.

أوجه الإعجاز العلمي:

إن معجزة القرآن العلمية، تظهر لأهل العلم، في كل مجال من مجالاته، فهي ظاهرة في نظمه، وفي إخباره عن الأولين، وفي إنبائه بحوادث المستقبل، وحكم التشريع، وغيرها... ولقد شاع مصطلح الإعجاز العلمي في عصرنا، للدلالة على أوجه إعجاز القرآن والسُّنة، التي كشفت عنها العلوم الكونية والطبية.

والمتأمل في أحوال العالم قبل نزول القرآن، يرى التخلف الهائل في مجال العلوم الكونية، وكيف اختلطت المعارف الكونية للإنسان، بالسحر والكهانة والأوهام، حتى غلبت الخرافة، وسادت الأساطير، على الفكر الإنساني.

(١) قال ﷺ: «**بعثت بجوامع الكلم**». (أخرجه البخاري في الجهاد) ومسلم في المساجد برقم ٤٥٢٣، والترمذي في السير برقم ١٥٥٣ والنسائي في الجهاد باب وجوب الجهاد. وقال ابن حجر في الفتح ١٣/٢٤٧: كان يتكلم بالقول الموجز القليل اللفظ الكثير المعاني، ونقل عن البخاري قوله: بلغني أن جوامع الكلم: أن اللَّه عز وجل يجمع له الأمور الكثيرة التي كانت تكتب في الكتب قبله في الأمر الواحد أو الاثنين.

ولقد انتظرت البشرية طويلاً ـ بعد نزول القرآن ـ إلى أن امتلكت من الوسائل العلمية، ما يكشف لها أسرار الكون، وإذا بالذي يكتشفه الباحثون بعد طول بحث ودراسة، يستخدم فيها أدق الأجهزة الحديثة، يرى مقرراً في آية، أو حديث، قبل ألف وأربعمائة عام، وذلك فيما تعرض له الوحي من حقائق. وما كان العرب الذين خوطبوا بهذا القرآن، بحاجة إلى هذه الأوصاف، والأنباء المستفيضة فيه، وفي السُّنة، عن الكون وأسراره، لإثبات صدق الرسول ﷺ، لكنه الوحي المعجز؛ الذي يحمل بينة صدقه معه، لجميع البشر، في عصورهم المختلفة، وأطوارهم المتباينة، كما قال أبو العباس بن تيمية في وصف القرآن.

وقد اجتمع فيه من الآيات ما لم يجتمع في غيره، فإنه هو الدعوة والحجة، وهو الدليل والمدلول عليه، وهو البينة على الدعوى، وهو الشاهد والمشهود به[(١)].

وتتمثل أوجه الإعجاز العلمي في القرآن والسُّنة فيما يلي:

١ ـ في التوافق الدقيق بين ما في نصوص الكتاب والسُّنة، وبين ما كشفه علماء الكون[(٢)] من حقائق كونية، وأسرار علمية، لم يكن في إمكان بشر أن يعرفها وقت نزول القرآن.

٢ ـ تصحيح الكتاب والسُّنة لما شاع بين البشرية، في أجيالها المختلفة، من أفكار باطلة، حول أسرار الخلق[(٣)] لا يكون إلا بعلم من أحاط بكل شيء علماً.

---

(١) الفتاوى: ١٤/ ١٩٠.

(٢) البروفيسور: كيث ل. مور وهو من أشهر علماء العالم في علم الأجنة، وكتابه في علم الأجنة مرجع عالمي مترجم إلى سبع لغات، منها: الروسية واليابانية والألمانية والصينية. بعد اقتناعه بأبحاث الإعجاز العلمي، ألقى محاضرة في ثلاث كليات طبية في المملكة العربية السعودية عام (١٤٠٤هـ) بعنوان: «مطابقة علم الأجنة لما في القرآن والسُّنة».

(٣) مثل ما كان شائعاً بين علماء التشريح من أن الولد يتكون من دم الحيض واستمر ذلك الاعتقاد إلى أن اكتشف المجهر، في القرن السادس عشر الميلادي، ونصوص القرآن والسُّنة، تقرر أن الإنسان يخلق من المني، وقد رد ابن القيم وابن حجر، وغيرهما من علماء المسلمين، أقوال علماء التشريح في عصورهم، بنصوص الوحي قال ابن حجر في الفتح: ١١/ ٨٤: «وزعم كثير من أهل التشريح أن مني الرجل لا أثر له في الولد إلا في عقده، وأنه إنما يتكون من دم الحيض، وأحاديث الباب تبطل ذلك».

٣ ـ إذا جمعت نصوص الكتاب، والسُّنة الصحيحة، وجدت بعضها يكمل بعضها الآخر، فتتجلى بها الحقيقة، مع أن هذه النصوص قد نزلت مفرقة في الزمن، وفي مواضعها من الكتاب الكريم، وهذا لا يكون إلا من عند اللَّه؛ الذي يعلم السر في السموات والأرض.

٤ ـ سن التشريعات الحكيمة، التي قد تخفى حكمتها على الناس، وقت نزول القرآن، وتكشفها أبحاث العلماء في شتى المجالات[(١)].

٥ ـ في عدم الصدام بين نصوص الوحي القاطعة؛ التي تصف الكون وأسراره، على كثرتها، وبين الحقائق العلمية المكتشفة على وفرتها، مع وجود الصدام الكثير، بين ما يقوله علماء الكون، من نظريات تتبدل مع تقدم الاكتشافات، ووجود الصدام بين العلم، وما قررته سائر الأديان المحرفة المبدلة.

وصدق اللَّه القائل:

﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ * بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ * وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ * أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ * قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا ۖ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْبَٰطِلِ وَكَفَرُواْ بِٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٨ ـ ٥٢].

تنبيه:

وكلامنا هنا محصور في قضايا الإعجاز العلمي؛ الذي تسفر فيه النصوص عن معانٍ لكيفيات وتفاصيل جديدة عبر العصور، أما ما يتعلق بالعقائد والعبادات، والمعاملات والأخلاق، فقد بينها رسول اللَّه ﷺ ووضح تفسيرها[(٢)].

(١) مثل ما كشفه العلم حديثاً من حكم في تحريم أكل لحم الخنزير.
(٢) التفسير والمفسرون للذهبي: ١/ ٣٤.

أبحاث الإعجاز العلمي في ضوء منهج السلف وكلام المفسرين :

للسلف منهج سديد، في التعامل مع الأمور الغيبية؛ التي جاء بها الوحي، وخاصة فيما يتعلق بأمر الصفات الإلٰهية، وأحوال يوم القيامة، وما لا سبيل إليه من غير طريق الوحي، ويتمثل هذا المنهج في الوقوف عند ما دلت عليه النصوص، بدون تكلف، لمعرفة الكيفيات والتفاصيل؛ التي لم يبينها الوحي، لأن البحث فيها كالبحث في الظلام، وهي قسر لحقائق الوحي الكبرى في قالب تصورات ذهنية بشرية، بحدود الحس والزمان والمكان، المحيط ببيئة الإنسان.

وكلام الخالق سبحانه، عن أسرار خلقه، في الآفاق والأنفس، غيب، قبل أن يرينا اللَّه حقائق تلك الأسرار، ولا طريق لمعرفة كيفياتها وتفاصيلها قبل رؤيتها، إلا ما سمعنا من طريق الوحي، وكان السلف لا يتكلفون ما لا علم لهم به.

إن معاني الآيات المتعلقة بالأمور الغيبية، ودلالتها اللغوية معلومة، لكن الكيفيات والتفاصيل محجوبة، وإن من وصف حقائق الوحي الكونية، بدقائقها وتفاصيلها، بعد أن كشفها اللَّه، وجلاها للأعين، غير من وصفها من خلال نص يسمع، ولا يرى مدلوله الواقعي، لأن وصف من سمع وشاهد غير من سمع فقط، ومثلهما كمثل اثنين استمعا وصفاً لمكتبة كبيرة من صاحبها، وكان بعضها مشاهداً، وبعضها محجوباً بالستائر والظلام، وكان أحدهما لا يملك قدرة على إزاحة الستائر، وتبديد الظلام، فوصف ما حجب عنه في ضوء ما سمع، وقياساً على ما رأى، وتمكن الثاني من كشف بعض الستائر، وتبديد بعض الظلام، فرأى دقائق، وتفاصيل، وكيفيات، ما وصف له من قبل سماعاً، فجاءت المشاهدة متوافقة مع السماع.

ولقد وفق السلف الصالح من المفسرين كثيراً في شرحهم لمعاني الآيات القرآنية، رغم احتجاب حقائقها الكونية، مع أن المفسر الذي يصف حقائق وكيفيات الآيات الكونية، في الآفاق والأنفس، وهي محجوبة عن الرؤية في عصره، قياساً على ما يرى من المخلوقات، وفي ضوء ما سمع من الوحي، يختلف عن المفسر؛ الذي كشفت أمامه الآية الكونية، فجمع بين ما سمع من الوحي، وبين ما شاهد في الواقع.

ونظراً لعدم خطورة ما يتقرر في مجال الأمور الكونية، على أمر العقيدة يوم ذاك، لم يقف المفسرون بها عند حدود ما دلت عليه النصوص. بل حاولوا شرحها بما يسر اللَّه لهم من الدراية؛ التي تيسرت لهم في عصورهم، وبما فتح اللَّه به عليهم من أفهام، وكانت تلك الجهود العظيمة التي بذلها المفسرون عبر القرون، لشرح نصوص الوحي؛ المتعلقة بالأمور الكونية؛ التي لم تكشف في عصرهم؛ مبينة لمستوى ما وصل إليه الإنسان من علم، في تلك المجالات، ومبينة لمدى توفيق اللَّه لهؤلاء المفسرين.

فإذا ما حان حين مشاهدة الحقيقة، في واقعها الكوني، ظهر التوافق الجلي بين ما قرره الوحي وما شاهدته الأعين، وظهرت حدود المعارف الإنسانية؛ المقيدة بقيود الحس المحدود، والعلم البشري المحدود بالزمان والمكان، وازداد الإعجاز تجلياً وظهوراً.

وكتب اللَّه التوفيق للمفسرين، فيما شرحوه من آيات وأحاديث؛ متعلقة بأسرار الكون وخفاياه؛ بفضل اهتدائهم بنصوص الوحي؛ المنزل ممن يعلم السر في الأرض والسماء، مهتدين بما علم لهم من دلالات الألفاظ، ومعاني الآيات.

سرور رسول اللَّه ﷺ بظهور التوافق بين الوحي، وبين الواقع:

روى مسلم في صحيحه[١] عن فاطمة بنت قيس قالت: . . . فلما قضى رسول اللَّه ﷺ صلاته جلس على المنبر وهو يضحك فقال: «**ليلزم كل إنسان مصلاه**». ثم قال: «**أتدرون لم جمعتكم؟**» قالوا: اللَّه ورسوله أعلم. قال: «**إني واللَّه ما جمعتكم لرغبة ولا لرهبة، ولكن جمعتكم لأن تميماً الداري، كان رجلاً نصرانياً، فجاء فبايع وأسلم، وحدثني حديثاً وافق الذي كنت أحدثكم عن مسيح الدجال**» ثم ذكر لهم خبر تميم الداري ورحلته؛ التي استغرقت أكثر من شهر في البحر، وجاءت موافقة لما أخبر به الرسول ﷺ من قبل.

وكان الناس يشككون في نسب أسامة بن زيد، فعن عائشة رضي اللَّه تعالى عنها قالت: إن رسول اللَّه دخل عليَّ مسروراً، تبرق أسارير وجهه،

---

(١) صحيح مسلم «كتاب الفتن وأشراط الساعة» باب قصة الجساسة «حديث رقم ١١٩» (٢٩٤٢).

فقال: «**ألم تري أن مجززاً**»[1] نظر آنفاً إلى زيد بن حارثة، وأسامة بن زيد (وفي رواية، وعليهما قطيفة، قد غطيا رؤوسهما وبدت أقدامهما)[2] فقال: «**إن هذه الأقدام بعضها من بعض**».

وهكذا جاء الدليل من الواقع المشاهد؛ ليحسم الخلاف، فبرقت له أسارير وجه الرسول عليه الصلاة والسلام.

وكم يسر المؤمن في عصرنا، وهو يشاهد حقائق الواقع، والمشاهدات الكثيرة، قد جاءت مصدقة لما جاء به الوحي، قبل ألف وأربعمائة عام.

أهمية أبحاث الإعجاز العلمي وثمارها

١ ـ تجديد بينة الرسالة في عصر الكشوف العلمية:

إذا كان المعاصرون لرسول اللَّه ﷺ قد شاهدوا بأعينهم، كثيراً من المعجزات، فإن اللَّه أرى أهل هذا العصر، معجزة لرسوله تتناسب مع عصرهم، ويتبين لهم بها أن القرآن حق، وتلك البينة المعجزة هي: بينة الإعجاز العلمي، في القرآن والسُّنة، وأهل عصرنا لا يذعنون لشيء مثل إذعانهم للعلم، وبيناته ودلائله، على اختلاف أجناسهم وأوطانهم وأديانهم، وأبحاث الإعجاز كفيلة بإذن اللَّه بتقديم أوضح الحجج، وأقوى البينات العلمية، لمن أراد الحق من سائر الأجناس. وفي حجج هذه الأبحاث قوة في اليقين، وزيادة في إيمان المؤمنين.

﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا﴾ [الأنفال: ٢].

وظهور هذه البينات العلمية، يسكب الثقة مرة ثانية، في قلوب الذين فتنهم الكفار من المسلمين عن دينهم باسم العلم؛ الذي قام عليه التقدم والحضارة.

٢ ـ تصحيح مسار العلم التجريبي في العالم:

لقد جعل اللَّه النظر في المخلوقات؛ الذي تقوم عليه العلوم التجريبية

(١) مجزز: كان قائفاً، والقائف: هو الذي يعرف الشبه ويميز الأثر.
(٢) انظر فتح الباري ج ١٢ ص ٥٦.

طريقاً إلى الإيمان به، وطريقاً إلى الإيمان برسول اللَّه، ولكن أهل الأديان المحرفة كذبوا حقائقه، وسفهوا طرقه، واضطهدوا دعاته، فواجههم حملة هذه العلوم التجريبية، بإعلان الحرب على تلك الأديان، فكشفوا ما فيها من أباطيل، وأصبحت البشرية في متاهة، تبحث عن الدين الحق؛ الذي يدعو إلى العلم، والعلم يدعو إليه.

إن بإمكان المسلمين أن يتقدموا لتصحيح مسار العلم في العالم، ووضعه في مكانه الصحيح، طريقاً إلى الإيمان باللَّه ورسوله، ومصدقاً بما في القرآن، ودليلاً على الإسلام، وشاهداً بتحريف غيره من الأديان.

إن البشرية بحاجة إلى الدين الحق؛ لإنقاذها مما حل بها من خواء في الروح، وضياع في الشعور، وشقاء في النفس، بحاجة إلى الدين الذي يجمع لها بين الدين والعلم، والمادة والروح، والنظام والخلق وسعادة الدنيا وحسن ثواب الآخرة، ولكنها بحاجة إلى دليل من العلم يثبت لها صحة الدين، وفي هذه الأبحاث جواب.

ومما يبشر بإمكانية تحقيق هذا الهدف، وجود قاعدة كبيرة من علماء الكون المنصفين، الذين لا يترددون في إعلان ما يقتنعون به من الحق، وهم أهل الكلمة في شعوبهم، ولا يستطيع المكابرون والجاحدون أن يحجروا عليهم في كثير من بلدان العالم، فيما عدا البلاد الشيوعية؛ التي جعلت الإلحاد منهجاً لها في الحياة. ولكن وسائل الإعلام المعاصرة قد تكون سبباً لإبلاغ أهل تلك البلاد حقائق العلم والإيمان، وربما فتح اللَّه فيها ما لا يتيسر في غيرها.

٣ ـ تنشيط المسلمين للاكتشافات الكونية، بدافع من الحوافز الإيمانية:

إن التفكر في مخلوقات اللَّه عبادة، والتفكر في معاني الآيات والأحاديث عبادة، وتقديمها للناس دعوة إلى اللَّه، وهذا كله متحقق في أبحاث الإعجاز العلمي في القرآن والسُّنة. وهذا من شأنه أن يحفز المسلمين إلى اكتشاف أسرار الكون؛ بدوافع إيمانية، لعلها تعبر بهم فترة التخلف؛ التي عاشوها فترة من الزمن، في هذه المجالات.

وسيجد الباحثون المسلمون، في كلام الخالق عن أسرار مخلوقاته، أدلة تهديهم أثناء سيرهم في أبحاثهم، وتقرب لهم النتائج، وتوفر لهم الجهود.

واجب المسلمين:

وإذا علمنا أهمية هذه الأبحاث في تقوية إيمان المؤمنين، ودفع الفتن التي ألبسها الكفار ثوب العلم، عن بلاد المسلمين، وفي دعوة غير المسلمين، وفي فهم ما خوطبنا به في القرآن والسُّنة، وفي حفز المسلمين للأخذ بأسباب النهضة العلمية، تبين من ذلك كله أن القيام بهذه الأبحاث من أهم فروض الكفايات.

وصدق اللَّه القائل: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾ [البينة: ١].

ميادين أبحاث الإعجاز العلمي

ميادين أبحاث الإعجاز العلمي :

إن كل موضوع تحدث عنه القرآن أو السُّنة، في أي مجال من مجالات العلم، التي ظهرت حقيقتها، والتي لا يمكن نسبة خبرها الذي جاء به الوحي، إلا إلى اللَّه، هو ميدان من ميادين أبحاث الإعجاز العلمي، ولكن هذا المصطلح، يقصد به الإعجاز العلمي، الذي كشفت عنه العلوم الحديثة.

وميادينه على هذا المفهوم: هي الميادين والمجالات الكونية؛ التي جاء ذكرها أو الإشارة إليها في القرآن والسُّنة، وتمكن العلم البشري من معرفة أسرارها، إلى جانب الميادين التي يحتاجها الباحث؛ لتفسير النصوص الشرعية، تفسيراً صحيحاً لا شطط فيه، مع معرفة بتاريخ العلوم، وتقدمها، تعينه على توضيح جوانب الإعجاز.

المراجع

١ ـ القرآن الكريم.
٢ ـ فتح الباري ط. دار المعرفة ـ بيروت.
٣ ـ صحيح مسلم: تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ـ ط. دار إحياء التراث العربي.
٤ ـ الترمذي ط. المكتبة العلمية ـ بيروت.
٥ ـ النسائي ط. المكتبة العلمية ـ بيروت.
٦ ـ المفردات للراغب الأصفهاني ط. دار المعرفة ـ بيروت.
٧ ـ تفسير الطبري ط. دار الفكر بيروت.
٨ ـ تفسير الزمخشري ط. دار المعرفة بيروت.
٩ ـ تفسير ابن الجوزي ط. المكتب الإسلامي ـ بيروت.
١٠ ـ تفسير القرطبي ط. إحياء التراث العربي.
١١ ـ تفسير أبي حيان ط. دار الفكر ـ بيروت.
١٢ ـ تفسير ابن كثير: كتب هوامشه حسين بن إبراهيم زهران ط. دار الكتب العلمية بيروت.
١٣ ـ مجموعة من التفاسير (البيضاوي، النسفي، الخازن).
١٤ ـ تفسير البقاعي ط. الهند.
١٥ ـ تفسير الآلوسي ط. دار الفكر ـ بيروت.
١٦ ـ تفسير أبو السعود ط. دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.
١٧ ـ تفسير فتح القدير للشوكاني ط. دار المعرفة.
١٨ ـ تفسير القاسمي: تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ط. دار الفكر ـ بيروت.

١٩ ـ تفسير الجلالين.
٢٠ ـ التفسير والمفسرون للذهبي ط. دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.
٢١ ـ الفتاوى (ابن تيمية) ط. الحكومة ـ مكة المكرمة.
٢٢ ـ درء تعارض العقل والنقل (ابن تيمية).
٢٣ ـ مقاييس اللغة ط. الحلبي ـ مصر تحقيق عبد السلام أحمد هارون.
٢٤ ـ الصحاح للجوهري بدون.
٢٥ ـ لسان العرب ط. دار صادر ـ بيروت.
٢٦ ـ تاج العروس ط. دار الفكر للتوزيع والنشر.
٢٧ ـ إرشاد الفحول للشوكاني ط. الحلبي.
٢٨ ـ التوراة والإنجيل والقرآن في ضوء المعارف العلمية الحديثة (موريس بوكاي).
٢٩ ـ علم الأجنة (كيث مور) ط. دار القبلة للكتاب الإسلامي مع إذن من شركة ساوندرز ١٩٨٣م.
٣٠ ـ أبحاث المؤتمر الطبي السعودي الثامن بالرياض ١٤٠٤هـ.
٣١ ـ محاضرات بعنوان: مطابقة علم الأجنة لما في القرآن والسُّنة بكليات الطب بالمملكة العربية السعودية ١٤٠٤هـ للدكتور (كيث مور).

٢

مستندات التوفيق بين النصوص القرآنية وبين النتائج العلمية الصحيحة

أ. د. سعاد يلدرم

رئيس قسم التفسير جامعة أتاتورك تركيا

مستندات التوفيق بين النصوص القرآنية وبين النتائج العلمية الصحيحة

الحمد للَّه وكفى، والصلاة والسلام على عباده الذين اصطفى. . .

إن اصطلاحات «الإعجاز العلمي» و«التفسير العلمي» و«معجزة علمية» أو «فنية» من التعابير، التي استحدثت، وشاعت في العصر الحديث، ومعلوم أن هذه التعابير، تفيد تأويل بعض الآيات القرآنية، بما يتفق وبعض النظريات، أو الاكتشافات الحديثة، في العلوم الطبيعية.

وعدد المؤلفين المعاصرين الذين حاولوا التوفيق، بين المعنى القرآني، وبين المسائل الفنية ليس بقليل. غير أن قسماً منهم أفرطوا في هذا الأمر، وتكلفوا في كثير من الأحيان. وهذا القسم تسبب في ظهور أهل تفريط ينكر هذا التوفيق رأساً. ومعظم المفسرين، الذين عاشوا في القرن الأخير، اقتصدوا في هذا الأمر ولم يضلوا عن سواء السبيل.

ونحن في بحثنا هذا نريد أن نؤصل هذا الموقف المعتدل، ونظهر بعض أسانيده وباللَّه التوفيق.

آراء المعترضين في التفسير العلمي

وقبل أن نخوض في الموضوع، يحسن بنا أن نذكر بعض آراء المعترضين، وفي مقدمتها:

١ ـ آراء أبي إسحاق الشاطبي المتوفى سنة ٧٩٠هـ. قال رحمه اللَّه في الموافقات: ٢/ ٥٥ ـ ٥٦

«إن كثيراً من الناس تجاوزوا في الدعوى على القرآن الحدَّ؛ فأضافوا

إليه كل علم يذكر للمتقدمين، أو المتأخرين، من علوم الطبيعيات والتعاليم، والمنطق، وعلم الحروف، وجميع ما نظر فيه الناظرون، من أهل الفنون، وأشباهها، وهذا إذا عرضناه على ما تقدم[١]: لم يصح. . .

وإضافة إلى هذا فإن السلف الصالح، من الصحابة، والتابعين ومن يليهم كانوا أعرف بالقرآن، وبعلومه، وما أودع فيه، ولم يبلغنا أنه تكلم أحد منهم في شيء من هذا المدعى، سوى ما تقدم، وما ثبت فيه من أحكام التكاليف، وأحكام الآخرة، وما يلي ذلك، ولو كان لهم في ذلك خوض، ونظر، لبلغنا منه ما يدلنا على أصل المسألة، إلا أن ذلك لم يكن، فدل على أنه غير موجود عندهم، وذلك دليل على أن القرآن لم يقصد فيه تقرير لشيء، مما زعموا».

وفيما بعد: ادعى الشاطبي أن المعاني، التي لا عهد للعرب بها، غير معتبرة فقال:

«وربما استدلوا على دعواهم بقوله تعالى:

﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٨٩].

وقوله: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨].

ونحو ذلك. . .، فأما الآيات فالمراد بها، عند المفسرين: ما يتعلق بحال التكليف والتعبد، أو المراد بالكتاب في قوله: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨] اللوح المحفوظ، ولم يذكروا فيها ما يقتضي تضمنه لجميع تلك العلوم، النقلية، والعقلية «. . .» فليس بجائز أن يضاف إلى القرآن ما لا يقتضيه، كما أنه لا يصلح أن ينكر منه ما يقتضيه، ويجب الاقتصار في الاستعانة على فهمه، على كل ما يضاف علمه، إلى العرب خاصة، فبه يوصل إلى علم ما أودع من الأحكام الشرعية، فمن طلبه بغير ما هو أداة له، ضل عن فهمه، وتقول على اللَّه ورسوله فيه، واللَّه أعلم وبه التوفيق» «الموافقات ٢/ ٥٥ ـ ٥٦» في المسألة الرابعة من النوع الثاني، في بيان قصد الشارع، في وضع الشريعة للإفهام.

---

(١) يعني ما ذكره سابقاً في كتابه الموافقات ـ لم يصح.

٢ ـ آراء محمد حسين الذهبي :

ويمكن أن نعتبر الأستاذ الدكتور محمد حسين الذهبي ممثل المنكرين للتفسير العلمي. يعرف الدكتور الذهبي التفسير العلمي بأنه هو: التفسير، الذي يحكم الاصطلاحات العلمية، في عبارات القرآن، ويجتهد في استخراج مختلف العلوم، والآراء الفلسفية منها.

ويعترض الدكتور الذهبي على التفسير العلمي من النواحي الآتية:

أولاً

الناحية اللغوية

كثير من الألفاظ القرآنية، تغيرت وتوسعت دلالاتها، بمرور الزمان. وهذه المعاني كلها تقوم بلفظ واحد، بعضها عرفته العرب وقت نزول القرآن، وبعضها لا علم للعرب به، وقت نزول القرآن، نظراً لحدوثه، وطروئه، على اللفظ، فهل يعقل أن نتوسع هذا التوسع العجيب، في فهم ألفاظ القرآن، وجعلها تدل على معان، جدت باصطلاح حادث؟

ثانياً

الناحية البلاغية

البلاغة هي المطابقة لمقتضى الحال، والتفسير العلمي للقرآن، يضر بلاغة القرآن. لأن من خوطبوا بالقرآن في وقت نزوله: إن كانوا يجهلون هذه المعاني، وكان اللَّه يريدها من خطابه إياهم لزم على ذلك أن يكون القرآن غير بليغ، لأنه لم يراع حال المخاطب؟ وإن كانوا يعرفون هذه المعاني، فلم لم تظهر نهضة العرب العلمية، من لدن نزول القرآن، الذي حوى علوم الأولين والآخرين؟

ثالثاً

الناحية الاعتقادية

أنزل اللَّه القرآن، إلى الناس كافة حتى قيام الساعة. ولو ذهبنا مذهب

من يحمل القرآن كل شيء، وجعلناه مصدراً للعلوم، لكنا بذلك قد أوقعنا الشك، في عقائد المسلمين، نحو القرآن الكريم. وذلك لأن قواعد العلوم، وما تقوم عليه، من نظريات، لا قرار لها ولا بقاء. ولو نحن ذهبنا إلى تقصيد القرآن، ما لم يقصد، من نظريات، ثم ظهر بطلان هذه النظريات فسوف يتزلزل اعتقاد المسلمين في القرآن الكريم. لأنه لا يجوز للقرآن أن يكذب اليوم، ما صححه بالأمس[١].

هذا ما قاله الدكتور الذهبي ملخصاً! ونحن نظن أن الذهبي بمطالعاته هذه يرد على المفرطين، والمسرفين، في التوفيق بين النصوص القرآنية، والمسائل العلمية. وإلا فهو ليس معترضاً ـ فيما يبدو ـ على كون القرآن يشير إلى بعض الحقائق العلمية رأساً. وهذا يظهر في آخر ما كتب في هذا الموضوع:

«وحسبهم أن لا يكون في القرآن نص صريح، يصادم حقيقة علمية ثابتة. وحسب القرآن أنه يمكن التوفيق بينه، وبين ما جد ويجد من نظريات وقوانين علمية، تقوم على أساس من الحق، وتستند إلى أصل من الصحة».

أليس كون القرآن لا يصادم حقائق علمية ثابتة معجزة علمية[٢]؟

٣ ـ الإعجاز العلمي للقرآن وآراء ابن عاشور، وسعيد النورسي:

وفي الصفحات التالية سنعالج هذه الآراء، وننتقدها، مستفيدين من المفسرين المعاصرين، ولا سيما الأستاذ «محمد الطاهر بن عاشور» من «تونس» والإمام «سعيد النورسي» من «تركيا». لأن لهما فضلاً كبيراً، في هذا المضمار، وقد وفقا جداً في تأصيل هذا المنهج القويم، ، في تفسير القرآن الكريم. ولأنهما لم يشتهرا بين المفسرين كما ينبغي لهما.

قال ابن عاشور ـ رحمه اللَّه ـ في تفسيره «في المقدمة العاشرة ١/ ١٢٧ ـ ١٢٩» عند البحث عن إعجاز القرآن ما نصه:

«وأما النوع الثاني، من إعجازه العلمي، فهو ينقسم إلى قسمين:

قسم يكفي لإدراكه فهمه وسمعه، وقسم يحتاج إدراك وجه إعجازه إلى

(١) انظر التفسير والمفسرون للدكتور الذهبي.

(٢) بلى: لكن هذا شيء، وكون القرآن الكريم مصدراً مباشراً للحقائق العلمية المفصلة شيء آخر؟ «تلك وجهة نظر الذهبي، رحمه اللَّه» المراجع د. إبراهيم الخولي «الهيئة».

العلم بقواعد العلوم، فينبلج للناس شيئاً فشيئاً انبلاج أضواء الفجر على حسب مبالغ الفهوم وتطورات العلوم. وكلا القسمين: دليل على أنه من عند اللَّه، لأنه جاء به «أمي» في موضع، لم يعالج أهله دقائق العلوم، والجائي به ثاوٍ بينهم لم يفارقهم. ولقد أشار القرآن إلى هذه الجهة من الإعجاز بقوله تعالى: في سورة القصص:

﴿قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ . . .﴾ [القصص: ٤٩، ٥٠].

ثم إنه ما كان قصاراه إلى مشاركة أهل العلوم في علومهم الحاضرة، حتى ارتقى إلى ما لم يألفوه، وتجاوز ما درسوه، وألفوه.

قال ابن عرفة عند قوله تعالى: ﴿تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ﴾ [آل عمران: ٢٧] «كان بعضهم يقول: إن القرآن يشتمل على ألفاظ، يفهمها العوام، وألفاظ يفهمها الخواص، وعلى ما يفهمه «الفريقان». ومنه هذه الآية؛ فإن الإيلاج يشمل الأيام التي لا يدركها إلا الخواص، والفصول التي يدركها سائر العوام».

أقول، وكذلك قوله تعالى:

﴿. . . أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا . . .﴾ [الأنبياء: ٣٠].

فمن طرق إعجازه العلمية[1] أنه دعا للنظر والاستدلال. قال في الشفاء:

«ومنها جمعه لعلوم ومعارف، لم تعهد للعرب، ولا يحيط بها أحد من علماء الأمم، ولا يشتمل عليها كتاب، من كتبهم، فجمع فيه من بيان علم الشرائع، والتنبيه على طرق الحجة العقلية، والرد على فرق الأمم، ببراهين قوية، وأدلة كقوله:

﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا . . .﴾ [الأنبياء: ٢٢].

وقوله:

﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم . . .﴾[يس: ٨١].

---

(١) دعوة القرآن للنظر والاستدلال ميزة، تفوق بها وتميز عن سائر الكتب السماوية، لكن إدخال هذا تحت الإعجاز العلمي ربما كان غير دقيق. «المراجع د. إبراهيم الخولي» «الهيئة».

ولقد فتح الأعين إلى فضائل العلوم، بأن شبه العلم بالنور، وبالحياة، كقوله:

﴿لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا . . .﴾ [يس: ٧٠].

وقوله:

﴿. . . يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ . . .﴾ [البقرة: ٢٥٧].

وقال:

﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣].

وقال:

﴿. . . هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ . . .﴾ [الزمر: ٩] وهذا النوع من الإعجاز هو الذي خالف به القرآن، أساليب الشعر، وأغراضه مخالفة واضحة.

هذا والشاطبي قال في الموافقات: (إن القرآن لا تحمل معانيه، ولا يتأول إلا على ما هو متعارف عند العرب). ولعل هذا الكلام صدر منه في التفصّي[١] من مشكلات في مطاعن الملحدين، اقتصاداً في البحث، وإبقاءً على نفيس الوقت، وإلا فكيف ينفي إعجاز القرآن، لأهل كل العصور، وكيف يقصر إدراك إعجازه بعد العصر العربي، على الاستدلال بعجز أهل زمانه، إذ عجزوا عن معارضته.

وإذ نحن نسلم لهم بالتفوق في البلاغة والفصاحة، فهذا إعجاز إقناعي، بعجز أهل عصر واحد، ولا يفيد أهل كل عصر، إدراك طائفة منهم لإعجاز القرآن.

ثم يستدل الأستاذ ابن عاشور بحديث: «**ما من الأنبياء نبي إلا أوتي ـ أو أعطي ـ من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيت وحياً أوحاه اللَّه، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة**» (البخاري فضائل القرآن ١ ومسلم، كتاب الإيمان ٢٣٩)[٢] «. . .» فالمناسبة بين كونه أوتي وحياً وبين

---

(١) تفصّى من الشيء، وعنه: تخلص منه. المعجم الوسيط ص ٦٩٢.

(٢) هو في أوائل فضائل القرآن حديث رقم ٤٩٨١ وأيضاً في الاعتصام باب ٢ حديث رقم

كونه يرجو أن يكون أكثرهم تابعاً لا تنجلي، إلا إذا كانت المعجزة صالحة، لجميع الأزمان، حتى يكون الذين يهتدون لدينه لأجل معجزته، أمماً كثيرين، على اختلاف قرائحهم، فيكون هو أكثر الأنبياء تابعاً، لا محالة، وقد تحقق ذلك، لأن المعنى بالتابع: التابع له، في حقائق الدين، لا اتباع الادعاء والانتساب بالقول «. . .».

وهذه الجهة من الإعجاز: إنما تثبت للقرآن بمجموعه؛ إذ ليست كل آية من آياته، ولا كل سورة من سوره، بمشتملة على هذا النوع من الإعجاز، ولذلك فهو إعجاز حاصل، من القرآن، وغير حاصل به التحدي، إلا إشارة نحو قوله: ﴿. . . وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

وقال الأستاذ ابن عاشور في المقدمة الرابعة «تفسير التحرير والتنوير ١/ ٤٢ ـ ٤٥» وفي الطريقة الثالثة: تجلب مسائل علمية، من علوم لها مناسبة بمقصد الآية، إما على أن بعضها يومئ إليه معنى الآية، ولو بتلويح ما، كما يفسر أحد قوله تعالى:

﴿. . . وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا . . .﴾ [البقرة: ٢٦٩].

فيذكر تقسيم علوم الحكمة ومنافعها، مدخلاً ذلك تحت قوله: (خيراً كثيراً) فالحكمة، وإن كانت علماً اصطلاحياً، وليس هو تمام المعنى للآية، إلا أن معنى الآية الأصلي، لا يفوت، وتفاريع الحكمة تعين عليه. وكذلك أن نأخذ من قوله تعالى:

﴿. . . كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ . . .﴾ [الحشر: ٧].

تفاصيل من علم الاقتصاد السياسي، وتوزيع الثروة العامة، ونعلل بذلك مشروعية الزكاة، والمواريث، والمعاملات المركبة، من رأس مال وعمل، على أن ذلك تومئ إليه الآية إيماء.

وإن بعض مسائل العلوم، قد تكون أشدّ تعلقاً بتفسير آي القرآن، كما

٧٢٧٤. وفي صحيح مسلم في كتاب الإيمان باب ٦٩ حديث ٢٣٩/ ١٥٢، ورواه النسائي في التفسير وفي فضائل القرآن كما قال المزي في الأطراف، وكلهم عن أبي هريرة ـ «الهيئة».

نفرض مسألة كلامية، لتقرير دليل قرآني، مثل برهان التمانع(١) لتقرير معنى قوله تعالى:

﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا . . .﴾ [الأنبياء: ٢٢].

وكتقرير مسألة المتشابه؛ لتحقيق معنى نحو قوله تعالى:

﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ . . .﴾ [الذاريات: ٤٧].

فهذا كونه من غايات التفسير واضح.

وكذا قوله تعالى:

﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾ [قٓ: ٦].

فإن القصد منه الاعتبار، بالحالة المشاهدة. فلو زاد المفسر ففصل تلك الحالة، وبين أسرارها، وعللها، بما هو مبيّن، في علم الهيئة، كان قد زاد المقصد خدمة. وإما على وجه التوفيق بين المعنى القرآني، وبين المسائل الصحيحة من العلم، حيث يمكن الجمع. وإما على وجه الاسترواح من الآية كما يؤخذ من قوله تعالى:

﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ . . .﴾ [الكهف: ٤٧].

أن فناء العالم يكون بالزلازل، ومن قوله تعالى:

﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ [التكوير: ١].

أن قانون الجاذبية يختل عند فناء العالم.

وشروط كون ذلك مقبولاً أن يسلك فيه مسلك الإيجاز؛ فلا يجلب إلا الخلاصة من ذلك العلم، ولا يصير الاستطراد كالغرض المقصود له، لئلا يكون كقولهم: «السي بالسي يذكر»(٢).

وللعلماء في سلوك هذه الطريقة الثالثة على الإجمال آراء: فأما جماعة

---

(١) لست أدري: ما الذي ينتهي إليه النظر، وبرهان التمانع يعرفه المناطقة مثلاً، وعرفه أرسطو، وتحدث الجاحظ وابن المعتز عما سمي: بالمذهب الكلامي؟ «المراجع د. إبراهيم الخولي ـ الهيئة».

(٢) السي: بسين مهملة مكسورة وتحتية مشددة: النظير والمثل. لسان العرب جـ ١٤ ص ٤١١ ـ ٤١٢.

منهم فيرون من الحسن: التوفيق بين العلوم غير الدينية، وآلاتها، وبين المعاني القرآنية، ويرون القرآن مشيراً إلى كثير منها.

قال ابن رشد الحفيد «هو محمد بن أحمد بن رشد المتوفى ١١٩٨م» في فصل المقال: «أجمع المسلمون، على أن ليس يجب أن تحمل ألفاظ الشرع كلها، على ظاهرها، ولا أن تخرج كلها عن ظاهرها، بالتأويل. والسبب في ورود الشرع بظاهر وباطن، هو: اختلاف نظر الناس، وتباين قرائحهم، في التصديق».

وتخلص إلى القول بأن بين العلوم الشرعية والفلسفية اتصالاً. وإلى مثل ذلك ذهب «قطب الدين الشيرازي» في شرح حكمة الإشراق، وكذلك الغزالي، والإمام الرازي، وأبو بكر بن العربي، وأمثالهم صنيعهم يقتضي التبسط وتوفيق المسائل العلمية، فقد ملأوا كتبهم من الاستدلال على المعاني القرآنية، بقواعد العلوم الحكمية[١] وغيرها.

وكذلك الفقهاء: في كتب أحكام القرآن. وقد علمت ما قاله ابن العربي فيما أملاه، على سورة (نوح) وقصة (الخضر). وكذلك ابن جني، والزجاج، وأبو حيان قد أشبعوا تفاسيرهم، من الاستدلال على القواعد العربية، ولا شك أن الكلام الصادر عن علام الغيوب تعالى، وتقدس، لا تبنى معانيه على فهم طائفة واحدة، ولكن معانيه تطابق الحقائق، وكل ما كان من الحقيقة في علم من العلوم، وكانت الآية لها اعتلاق بذلك، فالحقيقة العلمية مرادة، بمقدار ما بلغت إليه أفهام البشر، وبمقدار ما ستبلغ إليه. وذلك يختلف باختلاف المقامات ويبنى على توفر الفهم، وشرطه أن لا يخرج عما يصلح له اللفظ العربي، ولا يبعد عن الظاهر، إلا بدليل، ولا يكون تكلفاً بيناً، ولا خروجاً عن المعنى الأصلي، حتى لا يكون في ذلك كتفاسير الباطنية.

وأما «أبو إسحاق الشاطبي»، فقال في الفصل الثالث من المسألة الرابعة: «لا يصح في مسلك الفهم والإفهام إلا ما يكون عاماً لجميع العرب. فلا يتكلف فيه فوق ما يقدرون عليه». وقال في المسألة الرابعة من النوع

(١) لكن السؤال الآن: ما قيمة هذا الذي حشوا به كتبهم من قواعد العلوم الحكمية وما إليها؟ وما مصيره في نظر العلم اليوم؟ المراجع د. إبراهيم الخولي «الهيئة».

الثاني: «ينقل ابن عاشور قول الشاطبي الذي اقتبسناه آنفاً وتعقبه بقوله»:

«وهذا مبني على ما أسسه، من كون القرآن، لما كان خطاباً للأميين، وهم العرب، فإنما يعتمد في مسلك فهمه، وإفهامه، على مقدرتهم وطاقتهم وأن الشريعة أمية. وهو أساس واهٍ لوجوه ستة.

الأول: أن ما بناه عليه: يقتضي أن القرآن لم يقصد منه انتقال العرب من حال إلى حال، وهذا باطل لما قدمناه، قال تعالى:

﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا. . .﴾ [هود: ٤٩].

وهذا صريح في أن القرآن يحتوي على كثير من الحقائق التي يجهلها قومه، والتي هي من قبيل أنباء الغيب والمعجزات.

الثاني: أن مقاصد القرآن، راجعة إلى عموم الدعوة، وهو معجزة باقية، فلا بد أن يكون فيه، ما يصلح لأن تتناوله أفهام من يأتي من الناس في عصور انتشار العلوم في الأمة.

«وقال ابن عاشور في موضع آخر في تفسيره (١/ ١٠٤): «إن وجوه الإعجاز ترجع إلى ثلاث جهات «. . .» الجهة الثالثة: ما أودع فيه من المعاني الحكمية والإشارات إلى الحقائق العقلية والعلمية، مما لم تبلغ إليه عقول البشر في عصر نزول القرآن، وفي عصور بعده متفاوتة، وهذه الجهة أغفلها المتكلمون في إعجاز القرآن، من علمائنا، مثل أبي بكر الباقلاني، والقاضي عياض، «. . .» والقرآن معجز من الجهة الثالثة للبشر قاطبة، إعجازاً مستمراً على ممر العصور، وهذا من جملة ما شمله قول أئمة الدين: إن القرآن هو المعجزة المستمرة، على تعاقب السنين، لأنه قدر يدرك إعجازه العقلاء من غير الأمة العربية، بواسطة ترجمة معانيه التشريعية، والحكمية، والعلمية، والأخلاقية وهو دليل تفصيلي لأهل تلك المعاني، وإجمالي لمن تبلغه شهادتهم بذلك. «انظر أيضاً تفسيره ١/ ١٢٧ ـ ١٢٨».

الثالث: أن السلف[1] قالوا: إن القرآن لا تنقضي عجائبه، يعنون

---

(١) ليسوا السلف، وإنما ورد هذا الوصف في حديث الحارث الأعور عن علي ـ رضي اللَّه عنه

معانيه، ولو كان كما قال الشاطبي لانقضت عجائبه، بانحصار أنواع معانيه.

الرابع: أن من تمام إعجازه: أن يتضمن من المعاني مع إيجاز لفظه ما لم تف به الأسفار المتكاثرة.

الخامس: أن مقدار أفهام المخاطبين به ابتداء لا يقتضي، إلا أن يكون المعنى الأصلي مفهوماً لديهم، فأما ما زاد على المعاني الأساسية فقد يتهيأ لفهمه أقوام، وتحجب عنه أقوام، «ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه»(١).

السادس: أن عدم تكلم السلف عليها: إن كان فيما ليس راجعاً إلى مقاصده، فنحن نساعد عليه، وإن كان فيما يرجع إليها فلا نسلم وقوفهم فيها عند ظواهر الآيات، بل قد بينوا، وفصلوا، وفرعوا، في علوم عنوا بها، ولا يمنعنا ذلك أن نقفي على آثارهم، في علوم أخرى راجعة لخدمة المقاصد القرآنية، أو لبيان سعة العلوم الإسلامية. أما ما وراء ذلك، فإن كان ذكره لإيضاح المعنى، فذلك تابع للتفسير أيضاً. لأن العلوم العقلية تبحث عن أحوال الأشياء، على ما هي عليه، وإن كان فيما زاد على ذلك، فذلك ليس من التفسير، لكنه تكملة للمباحث العلمية، واستطراد في العلم لمناسبة التفسير، ليكون متعاطي التفسير، أوسع قريحة في العلوم.

ثم قال ابن عاشور: «وأنا أقول» إن علاقة العلوم بالقرآن على أربع مراتب:

الأولى: علوم تضمنها القرآن، كأخبار الأنبياء، والأمم، وتهذيب الأخلاق، والفقه، والتشريع، والاعتقاد، والأصول، والعربية، والبلاغة.

الثانية: علوم، تزيد المفسر علماً، كالحكمة والهيئة، وخواص المخلوقات.

الثالثة: علوم، أشار إليها، أو جاءت مؤيدة له، كعلم طبقات الأرض والطب، والمنطق.

بإسناد ضعيف. يرفعه للنبي ﷺ... انظر: التاج الجامع للأصول. كتاب فضائل القرآن، وسنن الترمذي: كتاب فضائل القرآن.

(١) هذه الجملة من حديث طويل رواه عمرو بن الأحوص عن النبي ﷺ في خطبة حجة الوداع، رواه ابن ماجه في المناسك في باب ٧٦ حديث رقم ٣٠٥٦ ـ «الهيئة».

الرابعة: علوم، لا علاقة لها به، إما لبطلانها، كالزجر، والعيافة، والميثولوجيا[١]، وإما لأنها لا تعين على خدمته، كعلم العروض، والقوافي، «تفسير التحرير والتنوير، ١/ ٤٥».

وقال الأستاذ ابن عاشور في المقدمة التاسعة من تفسيره «١/ ٩٤» «في أن المعاني التي تتحملها جمل القرآن تعتبر مرادة منها»:

«ولما كان القرآن نازلاً من المحيط علمه بكل شيء، كان ما تسمح تراكيبه الجارية، على فصيح استعمال الكلام البليغ، باحتماله، من المعاني المألوفة للعرب، في أمثال تلك التراكيب، مظنوناً بأنه مراد لمنزله، ما لم يمنع من ذلك مانع، صريح، أو غالب، من دلالة شرعية، أو لغوية، أو توفيقية. وقد جعل اللَّه القرآن كتاب الأمة كلها، وفيه هديها، ودعاهم إلى تدبره، وبذل الجهد في استخراج معانيه، في غير ما آية...

ويدل على تأصيلنا هذا ما وقع إلينا من تفسيرات مروية، عن النبي ﷺ لآيات، فنرى منها ما نوقن بأنه ليس هو المعنى الأسبق من التركيب؛ ولكننا بالتأمل نعلم أن الرسول عليه الصلاة والسلام، ما أراد بتفسيره، إلا إيقاظ الأذهان، إلى أخذ أقصى المعاني، من ألفاظ القرآن. ويمثل الأستاذ ابن عاشور لذلك بأمثلة متعددة من تفسير النبي ﷺ.

والأستاذ «بديع الزمان سعيد النورسي» طار صيته، في جميع أنحاء العالم الإسلامي كمجاهد. وهو كما اشتهر. إلا أنه لا ينبغي لنا أن نغض البصر عن ناحيته العلمية. كان رحمه اللَّه عضواً في دار الحكمة الإسلامية. وهذه المؤسسة كانت كبرى المؤسسات العلمية في أواخر الدولة العثمانية. والأستاذ النورسي ألف تفسيره باللغة العربية. لسورة البقرة المسمى «بإشارات الإعجاز في مظان الإيجاز» عندما كان يحارب مع طلبته ضد الروس في الحرب العالمية الأولى، أي ما قبل سبعين عاماً تقريباً. وألف كتبه المسماة «بكليات رسائل النور» باللغة التركية، في تفسير بعض الآيات القرآنية بعد هذا وانتهى من تأليفه سنة ١٩٣٠م أي ما قبل خمسة وخمسين عاماً تقريباً. وتوفي ـ رحمه اللَّه ـ في عام ١٩٦٠م في السابع والثمانين من عمره، المليء بالعلم

(١) الميثولوجيا: الأساطير.

والجهاد، حتى آخر أنفاسه. وفي الصفحات الآتية نعالج ونترجم قسماً من أفكاره إلى اللغة العربية للتوفيق بين المعنى القرآني، وبين الحقائق الصحيحة، من العلوم الطبيعية.

«قسم من آيات القرآن يزداد وضوحاً، بمرور الزمان، وبتطور العلوم، وهذا يعني أن القرآن الكريم خزينة، لا تحصى جواهرها، ولا تنقضي عجائبها. له محكمات ونصوص، لا تتغير معانيها، وأحكامها، في كل الأزمان. ولكن له أيضاً معان ثانوية، تشير إلى بعض الحقائق العلمية، التي تنكشف شيئاً فشيئاً، حسب تقدم المستوى العلمي البشري. أما الحقائق الظاهرية، التي بينها السلف الصالح فمسلمة محفوظة، لا تعتريها شبهة. لأنها نصوص، ومحكمات، وأسس، وقواعد، يجب الإيمان بها. والكتاب الكريم موصوف بأنه «قرآن عربي مبين». وهذا يقتضي كونه واضحاً، في معانيه الأساسية. والخطاب الإلهي يدور حول هذه المعاني، ويقويها، ويظهرها. ومن ينكر هذه المعاني المنصوصة، فكأنما يكذب اللَّه تعالى ويتهم فهم الرسول ﷺ للقرآن الكريم. إذن لا شك في أن المعاني المنصوصة مأخوذة من منبع الرسالة إلخ «المكتوبات ٤٠٠ ـ ٤٠١».

ويتساءل الأستاذ النورسي، بعد أن تعرض لبعض المعاني الإشارية، من قبيل الإعجاز العلمي فيقول:

«فإن قلت: كيف نستطيع أن نعلم: أن القرآن أراد هذه المعاني، وأشار إليها؟ فالجواب: ما دام القرآن خطة أزلية، وما دام هو يدرس، ويخاطب كل طبقات البشر، المصطفة. جيلاً بعد جيل، إلى يوم القيامة، فلا بد له من مراعاة تلك الأفهام المختلفة، ودرج المعاني المتعددة وإرادتها، ووضع القرائن للإرشاد بأنه أرادها. وكل هذه الوجوه والمعاني تعد من معاني القرآن، بشهادات واتفاق أهل الاجتهاد، وأهل التفسير، وأهل أصول الدين، وأهل أصول الفقه، بشرط كونه صحيحاً، من ناحية العلوم العربية، وحقاً من جهة الأصول الدينية، ومقبولاً من الناحية البلاغية. والقرآن وضع أمارة لكل وجه من هذه الوجوه: إما لفظية وإما معنوية. والأمارة المعنوية إما أن تفهم من سياق الكلام وسباقه، وإما أمارة مستنبطة من آية أخرى تشير إليها «يعني إلى هذا المعنى».

وكتب التفاسير التي تعد بالآلاف، والتي ألفها المحققون: تشهد بجامعية القرآن هذه وخارقيته «سوزلر[1]: أي الكلمات، ٤١٤ ـ ٤١٥».

ويقول:

«فإن قلت: من شأن الهداية، والبلاغة: البيان والوضوح، وحفظ الأذهان عن التشتت، فما بال المفسرين، في أمثال هذه الآية، اختلفوا اختلافاً مشتتاً وأظهروا احتمالات مختلفة، وبينوا وجوه تراكيب متباينة، وكيف يعرف الحق من بينها؟ قيل لك: قد يكون الكل حقاً، لكن الأمر يختلف من سامع إلى سامع، إذ القرآن ما نزل لأهل عصر فقط؛ بل لأهل جميع الأعصار. ولا لطبقة فقط، بل جميع طبقات الإنسان، ولا لصنف فقط بل لجميع أصناف البشر، ولكل فيه نصيب من الفهم. والحال: أن فهم نوع البشر يختلف درجة درجة... وذوقه يتفاوت جهة جهة... وميله يتشتت جانباً جانباً... واستحسانه يتفرق وجهاً وجهاً... ومتعته تتنوع نوعاً نوعاً... وطبيعته تتباين قسماً قسماً... فكم من أشياء يستحسنها نظر طائفة، دون طائفة، وتستلذها طبقة، ولا تتنزل إليها طبقة، وقس. فلأجل هذا السر وهذه الحكمة، أكثر القرآن من حذف الخاص للتعميم، ليقدر كل مقتضى ذوقه واستحسانه.

ولقد نظم القرآن جملة، ووضعها في مكان، ينفتح من جهاته وجوه مختلفة، لمراعاة الأفهام المختلفة؛ ليأخذ كل فهم حصته، وقس، فإذا يجوز أن تكون الوجوه بتمامها مرادة، بشرط أن لا تردها العلوم العربية، وبشرط أن تستحسنها البلاغة، وبشرط أن يقبلها علم أصول مقاصد الشريعة. فظهر من هذه النكتة: أن من وجوه إعجاز القرآن: نظمه، وسبكه في أسلوب، ينطبق على أفهام عصر فعصر... وطبقة فطبقة (إشارات الإعجاز ٤٠ ـ ٤١).

لنأخذ مثلاً قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا...﴾ [الأنبياء: ٣٠]. هذه الآية تفهم من لم يتوغل في المسائل الفلسفية، هذا المعنى: بينما كانت السماء صافية بدون سحاب والأرض جافة، ليست قابلة للتوليد، فتح اللَّه السماء بالمطر والأرض بالخضروات،

(١) سوزلر: مطبعة باستانبول.

وزاوج بينهما، وخلق من هذا الماء كل شيء حي، وتفهم الآية الحكيم المحقق: أنه في ابتداء الخليقة كانت السموات والأرض كوماً، بدون أي شكل، وعجيناً بدون نفع، ليس عليها أي كائن أو مخلوق، ولكن الفاطر الحكيم فتحهما، وبسطهما فجعل كلتيهما نافعة مثمرة، مزينة ومنشأ لكثير من المخلوقات. يفهم هذا ويعظم حكمة اللَّه تعالى. وتفهم الآية أيضاً في نظر حكيم معاصر: أن أرضنا وسائر (السيارات) التي تشكل المنظومة الشمسية كانت في ابتداء الأمر ممزوجة مع الشمس، عجيناً، ولكن القيوم القدير بسط هذا العجين، ووضع السيارات في أمكنتها وخلق التراب فوق الأرض، وأنزل المطر من السماء، وأرسل الأشعة من الشمس، وعمر الدنيا بالحياة. يفهم هذا ويتخلص من شرك الطبيعة (سوزلر أي الكلمات ٤١١ ـ ٤١٢).

إن الإنسان يتساءل: إن الواقع الذي نشاهده ضد ما أشار إليه القرآن في بعض الأحيان. فمثلاً نرى الشمس تشرق، وتغرب، والأرض منبسطة ساكنة، ماذا تقول في ذلك؟

نجيب عن هذا السؤال بأن القرآن كتاب هداية وإرشاد. والإرشاد إنما يكون نافعاً، إذا كان على درجة (استعداد) أفكار الجمهور الأكثر. والجمهور باعتبار المعظم عوام. والعوام لا يقدرون على رؤية الحقيقة عريانة، ولا يستأنسون بها، إلا بلباس خيالهم المألوف. فلهذه النكتة صور القرآن تلك الحقائق بمتشابهات، وتشبيهات، واستعارات، وحافظ على الجمهور الذين لم يتحملوا، عن الوقوع في ورطة التكذيب بما لم يحيطوا بعلمه، فأجمل في المسائل التي يعتقد الجمهور بالحس الظاهر مخالفتها للواقع، لكن مع ذلك أومأ إلى الحقيقة بنصب أمارات. فإذا تفطنت لهذه النكتة فاعلم: أن الديانة، والشريعة الإسلامية، المؤسسة على البرهان العقلي، ملخصة من علوم وفنون، تضمنت العقد الحيوية في جميع العلوم الأساسية، من فن تهذيب الروح، وعلم رياضة القلب، وعلم تربية الوجدان، وفن تدبير الجسد، وعلم تدبير المنزل، وفن السياسة المدنية، وعلم الحقوق والمعاملات وفن الآداب الاجتماعية، وكذا وكذا. . . إلخ.

مع أن الشريعة فسرت، وأوضحت في مواقع اللزوم، ومظان الاحتياج،

وفيما لم يلزم في حينه أو لم تستعد له الأذهان، أو لم يساعد له الزمان، أجملت بفذلكة[١] ووضعت أساساً، وأحالت إلى الاستنباط منه، وتفريعه ونشوء نمائه، على مشورة العقول (إشارات الإعجاز ١٧٥).

فمثلاً يراعي القرآن، ويتلطف مع الحس الظاهري، الذي يشاهد أن الأرض ساكنة ومنبسطة، ولا يقول بصراحة: أن الأرض كروية، تدور حول نفسها، وحول الشمس بسرعة. لا، ما أراد القرآن أن يلبس على الناس ويشوش أفكارهم، فيبعدهم عن هداية القرآن. ولو قال القرآن هذا وأمثاله، من الحقائق العلمية، لانفض الناس من حوله، ولأنكروا ذلك، لم يكن من ذلك شيء. إلا أن القرآن لم يهمل الإشارة إلى العصر، وإلى المستوى، الذي أدرك الناس فيه حقيقة شكل الأرض أو حركتها.

وبناء على هذه الحقيقة لا بد للمفسرين المتأخرين، من أن يوفقوا بين الحقائق الكونية المنكشفة، وبين النص القرآن، المشير إلى هذه الاكتشافات. لأن هذه الحقائق كانت توجد في القرآن مجملة، وفي شكل الفذلكة. وليست هذه المسائل من قبيل العقائد، والعبادات، والأحكام، والمعاملات. ولهذا يجوز أن تفهم، وتؤمن الأجيال المتقدمة، بالمعنى الإجمالي ويكتفوا به. وهذا لا يسبب أي نقيصة، لا للقرآن، ولا للمتقدمين من الأمة، الذين لم يكن في استطاعتهم أن يعرفوا هذه المسائل بالتفصيل، بل يكون دليلاً آخر للإعجاز القرآني... لأن القرآن يعلن بصراحة: أنه يحتوي على بعض الحقائق، التي لم تظهر حقيقتها في وقت النزول: ﴿بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ...﴾ [يونس: ٣٩].

والجملة الأخيرة من الآية صريحة، في أن القرآن يحتوي على بعض الحقائق، التي ستتضح بمرور الأزمان.

يقول المفسر شهاب الدين الآلوسي في تفسيره المسمى بروح المعاني، عند تفسير الآية المذكورة ما نصه:

---

(١) حاشية: فإن قلت: إن القرآن وكذا مفسره (أعني الحديث النبوي) إنما أخذ من كل فن فذلكة، وإحاطة فذلكات كثيرة ممكنة لشخص؟ قيل لك: إن الفذلكة بحسن الإصابة في موقعها المناسب، واستعمالها في أرض منبتة، مع أمور مرموزة، غير مسموعة ـ قد أشرنا إليها في النكتة الثانية ـ تشف كالزجاجة عن ملكة تامة، في ذلك الفن، واطلاع تام في ذلك العلم، فتكون الفذلكة في حكم العلم، ولا يمكن لشخص أمثال ذلك.

«فالتأويل: نوع من التفسير، والإتيان: مجاز عن المعرفة والوقوف، ولعل اختياره للإشعار بأن تلك المعاني متوجهة إلى الأذهان منساقة إليها بنفسها. وجوز أن يراد بالتأويل: وقوع مدلوله وهو عاقبته وما يؤول إليه. وهو المعنى الحقيقي عند البعض، فإتيانه حينئذٍ مجاز عن تبينه وانكشافه أي: «ولم يتبين لهم إلى الآن تأويل ما فيه من الإخبار بالغيب، حتى يظهر أنه صدق أم كذب. . . والمعنى: أن القرآن معجز من جهة النظم، ومن جهة الإخبار بالغيب، وهم فاجؤوا تكذيبه قبل أن يتدبروا نظمه، ويتفكروا في معناه، أو ينتظروا وقوع ما أخبر به من الأمور المستقبلة» روح المعاني ١١/ ١٢٠.

وكذا قوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: ٥٣].

هذه الآية صريحة في أن اللَّه يظهر بعض الآيات أي بعض الحقائق القرآنية، بعد زمن النزول.

فلنقرأ ما كتبه المفسر ابن كثير (المتوفى سنة ٧٧٤هـ) الذي هو أبعد المفسرين، عن التفسير المسمى بالعلمي، قال رحمه اللَّه في تفسير هذه الآية الكريمة: «أي سنظهر لهم دلالاتنا، وحججنا، على كون القرآن حقاً، منزلاً من عند اللَّه عز وجل على رسوله ﷺ بدلائل خارجية، في الآفاق من الفتوحات، وظهور الإسلام على الأقاليم، وسائر الأديان (. . .) ويحتمل أن يكون المراد من ذلك ما الإنسان مركب منه، وفيه، وعليه، من المواد والأخلاط، والهيئات العجيبة، كما هو مبسوط في علم (التشريح الدال، على حكمة الصانع، تبارك وتعالى) تفسير ابن كثير ٧/ ١٧٥.

وقال ابن زيد: (آفاق السموات): نجومها، وشمسها، وقمرها، اللاتي يجرين، وآيات في أنفسهم أيضاً (تفسير الطبري ٢٥/ ٥). ويصرح ابن كثير بأن هذه الآية تشير إلى بعض الحقائق، التي يدرسها علم الأحياء، وعلم التشريح، وابن زيد من السلف يفسر (الآيات) بعلوم الكون، بينما كان ابن جرير الطبري لا يلتزم هذا التفسير، ظاناً بأن السموات والشمس والقمر، كانت مشهودة ومعلومة عندهم.

وقال الأستاذ النورسي، دفعاً لبعض الشبه، في هذه الموضوع: ثم اعلم أن آيــة: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٣].

تشير إلى أن أناساً بسبب الغفلة عن مقصود الشارع في إرشاد الجمهور وجهلهم بلزوم كون الإرشاد بنسبة استعداد الأفكار وقعوا في شكوك وريب منبعها ثلاثة أمور (...).

والثاني: أنهم يقولون: إن القرآن الكريم أطلق وأبهم، في حقائق الخلقة، وفنون الكائنات، مع أنه مناف لمسلك التعليم والإرشاد.

والثالث: أنهم يقولون: إن بعض ظواهر القرآن الكريم أقرب إلى خلاف الدليل العقلي فيحتمل خلاف الواقع وهو مخالف لصدقه.

والجواب وباللّه التوفيق: أيها المشككون: اعلموا أن ما تتصورونه سبباً للنقص، إنما هي شواهد صدق، على سر إعجاز القرآن...

أما الجواب عن الشبهة الثانية: وهو إبهام القرآن، في بحث تشكيل الخلقة، على ما شرحته الفنون الجديدة، فاعلم: أن في شجرة العالم ميل الاستكمال وتشعب منه في الإنسان ميل الترقي، وميل الترقي كالنواة يحصل نشؤه ونماؤه بواسطة التجارب الكثيرة، ويتشكل ويتوسع، بواسطة تلاحق نتائج الأفكار، فيثمر فنوناً مترتبة، بحيث لا ينعقد المتأخر، إلا بعد تشكل المتقدم، ولا يكون المتقدم، مقدمة للمؤخر، إلا بعد صيرورته كالعلوم المتعارفة. فبناء على هذا السر لو أراد أحد تعليم فن أو تفهيم علم ـ وهو إنما تولد بتجارب كثيرة ـ ودعا الناس إليه قبل هذا بعشرة أعصر، لا يفيد إلا تشويش أذهان الجمهور ووقوع الناس في السفسطة، والمغالطة.

مثلاً: لو قال القرآن: (يا أيها الناس انظروا إلى سكون الشمس وحركة الأرض واجتماع مليون حيوان في قطرة، لتتصوروا عظمة الخالق) لأوقع الجمهور: إما في التكذيب، وإما في المغالطة مع أنفسهم، والمكابرة معها، بسبب أن حسهم الظاهري أو غلط الحس يرى انبساط الأرض، ودوران الشمس، من البديهيات المشاهدة. والحال أن تشويش الأذهان ـ لا سيما في مقدار عشرة أعصر، لتشهي بعض أهل زماننا ـ مناف لمنهاج الإرشاد، وروح

البلاغة، يا هذا، لا تظنن قياس أمثالها، على النظريات المستقبلة من أحوال الآخرة.

إذ الحس الظاهري لما لم يتعلق بجهة منها بقيت في درجة الإمكان، فيمكن الاعتقاد والاطمئنان بها فحقها الصريح التصريح بها، لكن ما نحن فيه لما خرج من درجة الإمكان والاحتمال في نظرهم ـ بحكم غلط الحس ـ إلى درجة البداهة عندهم فحقه في نظر البلاغة الإبهام، والإطلاق، احتراماً لحسياتهم، وحفظاً لأذهانهم من التشويش.

ولكن مع ذلك أشار القرآن الكريم، ورمز، ولوح، إلى الحقيقة، وفتح الباب للأفكار، ودعاها للدخول، بنصب أمارات وقرائن، فيا هذا، إن كنت من المنصفين إذا تأملت في دستور (كلم الناس على قدر عقولهم)[1] ورأيت أن أفكار الجمهور، لعدم استعداد الزمان، والمحيط، لا تتحمل، ولا تهضم التكليف، بمثل هذه الأمور، التي إنما تتولد بنتائج تلاحق الأفكار ـ لعرفت أن ما اختاره القرآن من الإبهام والإطلاق، من محض البلاغة، ومن دلائل إعجازه.

أما الجواب عن الشبهة الثالثة: وهو إمالة بعض ظواهر الآيات إلى منافي الدلائل العقلية، وما كشفه الفن. فاعلم، أن المقصد الأصلي في القرآن: إرشاد الجمهور، إلى أربعة أصول هي:

إثبات الصانع الواحد، والنبوة، والحشر، والعدالة، فذكر الكائنات في القرآن: إنما هو تبعي، واستطرادي للاستدلال، إذ ما نزل القرآن لدرس الجغرافيا والقوزموغرافيا، بل إنما ذكر الكائنات للاستدلال بالصنعة الإلهية، والنظام البديع على صانع النظام الحقيقي جل جلاله. والحال: أن أثر

---

(١) كذا قال الباحث، ولكن لم نعثر عليه بهذا اللفظ في كتب الحديث، وإنما ورد بلفظ (أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم) رواه الديلمي بسند ضعيف عن ابن عباس مرفوعاً، وعزاه ابن حجر لمسند الحسن بن سفيان عن ابن عباس بلفظ: «**أمرت أن أخاطب الناس على قدر عقولهم**» قال: وسنده ضعيف جداً، وفي صحيح البخاري في كتاب العلم باب ٤٩ عن علي موقوفاً حدثوا الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذب اللّه ورسوله حديث رقم ١٢٧. وفي مقدمة صحيح مسلم في باب ٣ عن ابن مسعود قال: ما أنت بمحدث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة، ملخصاً عن العجلوني حديث ٥٩٢ ـ الهيئة.

الصنعة، والقصد، والنظام، يتراءى في كل شيء. وكيف كان التشكل فلا علينا إذ لا يتعلق بالمقصد الأصلي. فحينئذٍ ما دام أنه يبحث عنها للاستدلال، وما دام أنه يجب كونه معلوماً قبل المدعي، وما دام أنه يستحسن وضوح الدليل ـ كيف لا يقتضي الإرشاد والبلاغة، تأنيس معتقداتهم الحسيّة، ومماشاة معلوماتهم الأدبية، بإمالة بعض ظواهر النصوص إليها، لا ليدل عليها، بل من قبيل الكنايات، أو مستتبعات التراكيب، مع وضع قرائن وأمارات تشير إلى الحقيقة لأهل التحقيق.

مثلاً لو قال القرآن الكريم في مقام الاستدلال: (أيها الناس، تفكروا في سكون الشمس مع حركتها الصورية، وحركة الأرض اليومية والسنوية، مع سكونها ظاهراً، وتأملوا في غرائب الجاذب العمومي، بين النجوم، وانظروا إلى عجائب الكهرباء، وإلى الامتزاجات غير المتناهية بين العناصر السبعين، وإلى اجتماع ألوف ألوف الحيوانات في قطرة ماء، لتعلموا أن اللَّه على كل شيء قدير) لكان الدليل أخفى وأغمض، وأشكل، بدرجات من المدعي. وإن هذا لمناف لقاعدة الاستدلال، ثم لأنها من قبيل الكنايات، لا يكون معانيها، مدار صدق وكذب. ألا ترى أن لفظ (قال) ألفه يفيد خفة، سواء كان أصله واواً أو قافاً أو كافاً.

الحاصل: بما أن القرآن الكريم نزل لجميع البشر في جميع الأزمان، فالنقط الثلاث المذكورة من دلائل إعجازه (إشارات الإعجاز ١٨٠ ـ ١٨٢).

ويرى الأستاذ سعيد النورسي في قصص معجزات الأنبياء عليهم السلام إشارات إلى المكتشفات العلمية الحديثة أيضاً.

ومعلوم أن القصص القرآنية ليست مسوقة لتعليم الحوادث التاريخية فقط. بل لها عدة أغراض، من بينها الإشارة والإرشاد إلى بعض الأمور الدنيوية. يقول الأستاذ: كما أن قصص معجزات الأنبياء ترشد إلى الاستفادة من كمالات الأنبياء الدينية، في نفس الوقت ترشد إلى الاستفادة من معجزاتهم المادية أيضاً. نعم حقق اللَّه هذه الخوارق على أيديهم معجزة، إلا أن هذه القصص تثير في الناس الميل إلى محاكاتهم. لأن اللَّه لم يحقق هذه المعجزات بدون سبب، بل جعل لها وسائل مادية. فمثلاً جعل الريح سبباً

لسير سليمان عليه السلام مسيرة شهرين. يريد القرآن أن يقول من خلال هذه القصص: (فاعتبروا يا أولي الأبصار) لكم في معجزات الأنبياء عبرة من عدة وجوه، فاستفيدوا من كل هذه الوجوه، حاولوا وسيروا في هذا الطريق، لعلكم تستطيعون أن تحققوا، عن طريق سنن اللّه الكونية، ما تشبه هذه المعجزات، التي أعطاها اللّه لأنبيائه معجزة خارقة. ونستطيع أن نقول: إن بعض الكمالات المادية الدينية، والخوارق الدنيوية أهديت إلى البشرية ـ مثل الكمالات الدينية ـ على يد الأنبياء، فمثلاً السفينة، أهديت إلى البشرية على يد نوح عليه السلام.

ويقول الأستاذ النورسي:

«ثم إني ـ نظراً إلى ﴿. . . وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩]، ومستنداً إلى أن التنزيل كما يفيدك بدلالاته ونصوصه، كذلك يعلمك بإشاراته ورموزه ـ لأفهم من إشارات أستاذية إعجاز القرآن، في قصص الأنبياء، ومعجزاتهم: التشويق والتشجيع، للبشر على التوسل، للوصول إلى أشباهها، كأن القرآن، بتلك القصص، يضع إصبعه على الخطوط الأساسية، ونظائر نتائج نهايات مساعي البشر، للترقي في الاستقبال، الذي يبنى على مؤسسات الماضي، الذي هو مرآة المستقبل. وكأن القرآن الكريم يمسح ظهر البشر بيد التشويق والتشجيع، قائلاً له: «اسع واجتهد في الوسائل، التي توصلك إلى أشباه بعض تلك الخوارق».

أفلا ترى أن الساعة والسفينة أول من أهداهما للبشر، يد المعجزة. وإن شئت فانظر إلى ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: ٣١] وإلى: ﴿. . . ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ﴾ [سبأ: ١٠] وإلى: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ . . .﴾ [سبأ: ١٢].

أي النحاس. وإلى: ﴿. . . فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ . . .﴾ [البقرة: ٦٠] وإلى: ﴿. . . وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ . . .﴾ [آل عمران: ٤٩].

ثم تأمل فيما مخضه تلاحق أفكار البشر، واستنبطه من ألوف فنون، ناطق كل منها ـ بخواص، وأسماء ـ نوع من أنواع الكائنات،

حتى صار البشر مظهر: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا . . .﴾ [البقرة: ٣١].

ثم فيما استخرجه فكر البشر، من عجائب الصنعة، من السكة الحديدية، والآلة البرقية، وغيرهما بواسطة تليين الحديد، وإذابة النحاس، حتى صار مظهر: ﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ﴾ [سبأ: ١٠] الذي هو أم صنائعه.

وفيما أفرخته أذهان البشر، من الطائرات، التي تسير في يوم شهراً حتى كاد أن يصير مظهر: ﴿. . . غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ . . .﴾ [سبأ: ١٢]، وفيما ترقى إليه سعي البشر من اختراع الآلات، والعصي، التي تضرب في الأرض الرملة اليابسة، فتفور منها عين نضاخة، وتصير الرملة روضة، حتى أوشك أن يصير مظهر: ﴿. . . فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ . . .﴾ [البقرة: ٦٠] وفيما أنتجه تجارب البشر، من خوارق الطب، التي طفق: أن تبرئ الأكمه والأبرص والمزمن بإذن اللَّه، وترى مناسبة تامة تصحح لك أن تقول تلك عبرها ومحاكاتها وذكرها يشير إليها، ويشجع عليها. . .

وكذا انظر إلى قوله: ﴿. . . يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا . . .﴾ [الأنبياء: ٦٩]. وإلى: ﴿. . . لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ . . .﴾ [يوسف: ٢٤] أي صورة يعقوب عليه السلام عاضاً على إصبعه في رواية(١). وإلى: ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ . . .﴾ [يوسف: ٩٤] وإلى: ﴿. . . يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ . . .﴾ [سبأ: ١٠] وإلى: ﴿. . . وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ . . .﴾ [النمل: ١٦] وإلى: ﴿. . . أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ . . .﴾ [النمل: ٤٠] وأمثالها. ثم تأمل فيما كشفه البشر، مرتبة النار التي لا تحرق، ومن الوسائط التي تمنع الإحراق، فيما اخترعه من الوسائل، التي تجلب الصور، والأصوات، من مسافات بعيدة، وتحضرها إليك قبل أن يرتد إليك طرفك، وفيما أبدعه فكر البشر، من الآلات الناطقة بما تتكلم، وفي استخدامه لأنواع الطيور، والحمامات، وقس عليها، لترى بين هذين القسمين ملاءمة يحق بها أن يقال:

(١) ذكره السيوطي في تفسيره فقال: أخرج عبد الرزاق والفريابي وسعيد بن منصور وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ والحاكم وصححه عن ابن عباس ـ وفيه ـ حتى رأى برهان ربه، جبريل عليه السلام، في صورة يعقوب عاضاً على إصبعيه فذكره. وقد ذكر الطبري في تفسيره روايات كثيرة، بألفاظ مختلفة، في كلها مقال، وأقل ما قيل: كلها مضطربة ـ الهيئة.

(في هذه رموز إلى تلك) إشارات الإعجاز ٢٥٣ ـ ٢٥٥.

تتلخص من هذه المطالعات الأسس التالية:

١ ـ إن القرآن الكريم، هو كلام اللَّه تعالى، وكلامه تعالى جاء من العلم الإلٰهي، الذي يحيط بكل شيء علماً. ولهذا السبب كانت معاني كلام اللَّه واسعة، بدرجة لا يقاس بها كلام البشر، الذي يستند إلى علم محدود.

٢ ـ إن القرآن ذاته يصرح، بأن قسماً من حقائقه، ستظهر بعد زمن التنزيل.

٣ ـ القرآن الكريم لا يتجه بالخطاب إلى جيل ومكان معينين، بل إلى البشرية كافة، في كل زمان ومكان، إلى قيام الساعة.

٤ ـ إن محكمات القرآن من عقيدة، أو عبادة، أو عمل، أو أحكام، مفهومة تماماً بالتفصيل، منذ عهد السلف الصالح، وهذه المعاني الأساسية للقرآن لا تتغير، ولا تتبدل، بمرور الزمان. ولكن القرآن دون هذه المقاصد الأساسية. ويحتوي على معان ثانوية من المتشابهات الإضافية، ومعاني هذه المتشابهات تفهم على وجه الكمال والتفصيل، بعد زمن التنزيل بقرون. وقد يكون فهم سلف الأمة من بعض هذه المتشابهات الإضافية فهماً ظاهرياً إجمالياً.

٥ ـ حكمة اللَّه الحكيم المطلق أرادت أن يحوي كتابه على المتشابهات بأنواعها وبفضل هذه المتشابهات احتوى القرآن الكريم على معان لا تعد ولا تحصى. «لم يرد اللَّه أن يكلف عباده في مثل هذه المسائل بقضية معينة، بل فتح اللَّه باب الاجتهاد للعقل البشري ليسلكه الإنسان ويحقق به نعمة اللَّه عليه في الإدراك والفهم «محمود شلتوت، تفسير القرآن الكريم، القاهرة ٦٧ ـ ٦٨».

«إن المتشابهات لا تعني إبهاماً كلياً بدون معنى، كما يظنه بعض الناس. هذا الظن خطأ كبير. المتشابه ليس مهملاً، ولا كلاماً بدون معنى، بل لاحتوائه على معان كثيرة لا يمكن لنا أن نتبين المعنى المراد الذي يبدو مبهماً، إنما يبدو مبهماً لأن الحقائق المحيطة التي تفيدها المتشابهات، لا

يستطيع أن يستوعبها فكر البشر. وإن المتشابه في الحقيقة: هو البيان الذي يحتوي على مجموع وجوه البيان: من حقيقة ومجاز، وصريح وكناية، وتمثيل وتحقيق، وظاهر وخفي. ومن أجل ذلك وصفنا المتشابه بأنه (المعلوم المجهول) آنفاً. ومعلوم أن الإبهام في الكلام في بعض المواقع يعد من أثمن وجوه البلاغة، كما أن كل شخص لا يكون أهلاً لكل خطاب، وكذلك لا تستطيع القدرة البشرية على العموم أن تتحمل أفهام وتبليغ كلية العلم المحيط الإلٰهي» محمد حمدي باوزير، المفسر التركي المعاصر في تفسيره الثمين باللغة التركية المسمى بـ(حق ديني قرآن دلي) استانبور، ١٩٣٥، ١/ ٤٨.

وهكذا نستطيع أن نشبه بعض المتشابهات القرآنية بمصباح بلوري (كريستال) ضوؤه لا يتغير في الأصل، ولكن بسبب الزوايا الكثيرة التي توجد على زجاجات البلور تتغير الألوان والأشعة، وتزداد بحسب الزوايا، أي بحسب اختلاف نظر الناس، وهذه الإشعاعات تتجدد دوماً.

٦ ـ إن لمعاني القرآن طبقات متعددة، تحت معناه الصريح. والمعنى الإشاري والرمزي من هذه الطبقات. وكذا المعنى الإشاري أيضاً هو كلي له جزئيات وأفراد في كل عصر. وهذه الجزئيات، فضلاً عن أن تنقص من قدر القرآن، تخدم وتقوي إعجازه وبلاغته (سعيد النورسي، شعاعلر، ٦٤٤).

وليس معنى هذا أن القرآن مبهم تستطيع أن تجره إلى حيث تشاء، بل معناه: أن لبعض الآيات القرآنية معاني متداخلة، (مثل الحلقات، التي تشاهد على سطح الماء إثر غمس شيء فيه) بدون تغير المعنى الأصلي، فالآية تحتوي على سطح، وقعر، وجذور، كثيرة. أسلوب الآية يشمل كل هذه العناصر. من أجل ذلك يختلف فهم الناس، بحسب مبلغهم من العلم.

٧ ـ قال اللَّه تعالى، واصفاً للقرآن الكريم: ﴿. . . وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ. . .﴾ [النحل: ٨٩] وقال النبي ﷺ في الحديث الشريف: «**لا تنقضي عجائبه، ولا يخلق على كثرة الرد**» (رواه الترمذي في سننه في كتاب فضائل القرآن، ١٤)(١).

(١) رواه الترمذي في أبواب فضائل القرآن في باب ١٤ حديث رقم ٢٩٠٦، ورواه الدارمي في

ولو كان الحق مع الشاطبي والدكتور الذهبي وأمثالهما لانقضت عجائبه، بانحصار أنواع معانيه. والآثار كثيرة في: أن القرآن ذو وجوه كثيرة. وكتب التفاسير التي تعد بآلاف المجلدات، باختلافاتها، واتفاقاتها، تشهد بكثرة المعاني هذه. وكتب محمد رشيد رضا عندما تصدى لشرح إعجاز القرآن تحت عنوان: (إعجاز القرآن بتحقيق مسائل كانت مجهولة للبشر) ما نصه:

«الوجه السابع: اشتمال القرآن، على تحقيق كثير من المسائل العلمية والتاريخية، التي لم تكن معروفة في عصر نزوله، ثم عرفت بعد ذلك بما انكشف للباحثين، والمحققين، من طبيعة الكون، وتاريخ البشر، وسنن اللَّه في الخلق (وبعد أن ذكر أمثلة متعددة لهذا ختم قائلاً): فكتابه تعالى مظهر لقوله ٥٥/ ٢٩: ﴿. . . كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمٰن: ٢٩] تفسير المنار ١/ ٢١٠ ـ ٢١٢.

٨ ـ ورغم أن المقصود الأسمى من القرآن الكريم هو: الهداية والإرشاد، إلا أنه مع ذلك حوى أصول الإعجاز: التشريعي، والنفسي، والبياني، والعلمي، الدكتور عبد اللَّه شحاته، تفسير الآيات الكونية، القاهرة ١٤٠٠/ ١٩٨٠، ص ٢٢.

٩ ـ لا شك أن الكلام الصادر عن علام الغيوب تعالى وتقدس، لا تبنى معانيه على فهم طائفة واحدة، ولكن معانيه تطابق الحقائق، وكل ما كان من الحقيقة في علم من العلوم وكانت الآية لها تعلق بذلك، فالحقيقة العلمية مرادة بمقدار ما بلغت إليه أفهام البشر وبمقدار ما ستبلغ إليه، وذلك يختلف باختلاف المقامات، ويبنى على توفر الفهم، وشرطه: أن

سننه ٢/ ٤٣٥ كلاهما عن الحارث عن علي. وفي إسناد هذا الحديث: أبو المختار الطائي وابن أخي الحارث الأعور وهما من المجاهيل، والحارث الأعور فيه كلام مشهور، وليس له متابع سليم من المقال وقال الشوكاني في الفوائد المجموعة نقلاً عن الصنعاني: موضوع، وقال المعلمي في الهامش: سنده ضعيف ومتنه حسن فلا يتجه الحكم بوضعه ـ راجع صفحة ٢٩٦، وقال الألباني: ضعيف ـ راجع ضعيف الجامع.

تنبيه: في الترمذي «ولا يخلق على كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه» يعني خلاف ما ذكره المصنف ـ الهيئة.

لا يخرج عما يصلح له اللفظ العربي، ولا يبعد عن الظاهر إلا بدليل، ولا يكون تكلفاً بيناً، ولا خروجاً عن المعنى الأصلي؛ حتى لا يكون في ذلك كتفاسير الباطنية، كما قال محمد الطاهر بن عاشور.

١٠ ـ إن مقاصد القرآن راجعة إلى عموم الدعوة، وهو معجزة باقية فلا بد أن يكون فيه ما يصلح لأن تتناوله أفهام من يأتي من الناس، في عصور انتشار العلوم في الأمة.

١١ ـ إن عدم تكلف السلف عليها: إن كان فيما ليس راجعاً إلى مقاصد القرآن فنحن نساعد عليه، وإن كان فيما يرجع إليها فلا نسلم وقوفهم فيها عند ظواهر الآيات، بل قد بينوا، وفصلوا، وفرعوا، في علوم عنوا بها، ولا يمنعنا ذلك أن نقفي على آثارهم، في علوم أخرى، راجعة لخدمة المقاصد القرآنية، كما قال المفسر (الطاهر بن عاشور) رحمه اللَّه.

وهذا المسلك المعتدل الذي يقول: إن القرآن الكريم أتى بأصول عامة، لكل ما يهم الإنسان معرفته، ليبلغ درجة الكمال جسداً وروحاً، وترك الباب مفتوحاً لأهل الذكر، من المشتغلين بالعلوم المختلفة، ليبينوا للناس جزئياتها، بقدر ما أوتوا منها، في الزمان الذي هم عائشون فيه ـ سلكه عدد من العلماء، في العصر الحديث مثل: الطاهر بن عاشور، وسعيد النورسي، ومحمد رشيد رضا: انظر على سبيل المثال: تفسير قوله تعالى: ﴿. . . خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ . . .﴾ [الأعراف: ٥٤] في تفسير المنار، ٨/ ٤٤٥ ـ ٤٤٨.

وتفسير قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ . . .﴾ [البقرة: ٢٣] في تفسير المنار، ١/ ٢١٠ ـ ٢١٢.

والأستاذ المراغي: انظر على سبيل المثال:

تفسير قوله تعالى: ﴿. . . وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ﴾ [الحجر: ١٩] في تفسير المراغي، ١٤/ ١٥. وتفسير قوله تعالى: ﴿. . . . وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٤٠] في تفسير المراغي، ٢٣/ ١٠ ـ ١١. وتفسير قوله تعالى: ﴿. . . يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ . . .﴾ [الزمر: ٥] في تفسير المراغي، ٢٣/ ١٤٥. والأستاذ الدكتور / محمد عبد اللَّه دراز انظر قوله تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ﴾ [الطارق: ٥، ٦] يخبر عن منشأ

خلقة الإنسان. وقوله: ﴿... فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ...﴾ [الحج: ٥] وقوله: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا...﴾ [المؤمنون: ١٤] يخبران عن صفات الجنين في بطن أمه. وقوله: ﴿... وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ...﴾ [الأنبياء؛ ٣٠] يخبر بأن كل الحيوانات من أصل مائي. وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ...﴾ [الروم: ٤٨] يخبر عن تكون المطر. وقوله تعالى: ﴿... يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ...﴾ [الزمر: ٥] يخبر عن كروية الأرض. وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا...﴾ [الرعد: ٤١] و(الأنبياء: ٤٤) يخبران بأن الأرض كروية إلا أن كرويتها ناقصة في أطرافها. وقوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا...﴾ [يس: ٣٨] يخبر بأن الشمس تجري إلى نقطة معينة. وقوله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم...﴾ [الأنعام: ٣٨] يخبر بأن طوائف الحيوانات تعيش حياة جماعية مثل الإنسان ولا سيما النحل وقوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا...﴾ [يس: ٣٦] و(الذاريات: ٤٩) يخبران بأن اللَّه خلق كل شيء أزواجاً. وقوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً...﴾ [الحجر: ٢٢] يخبر عن التلقيح بواسطة الرياح وما إلى ذلك.

وبعد أن انتقد الدكتور دراز الإسراف في التوفيق بين النص القرآني وبين النتيجة العلمية، تحدث عن فائدة التفكر في الآفاق وفي الأنفس إلى أن قال:

«نحن لا نفسر نهائياً الآيات المذكورة بالمكتشفات المشار إليها، ولكننا نشاهد التطابق المدهش بين النص القرآني وبين المكتشفات العلمية الناتجة عن بحوث المتخصصين المتلاحقة خلال القرون الكثيرة» وهذا لا يمكن أن يكون صدفة، بل لا بد من أن يكون معجزة. (**المدخل في القرآن الكريم، ص ١٤٤**).

والأستاذ / محمد المدني، والشيخ محمود شلتوت، والأستاذ الشهيد حسن البنا[١]، والأستاذ سيد قطب.

---

(١) انظر إلى كتاب (تفسير الآيات الكونية للدكتور شحاتة، ص ٩).

قال الأستاذ الشهيد سيد قطب عند تفسير قوله تعالى: ﴿. . . يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيۡلِۖ . . .﴾ [الزمر: ٥] (وهو تعبير عجيب يقسر الناظر فيه قسراً على الالتفات إلى ما كشف حديثاً عن كروية الأرض، ومع أنني في هذه الظلال حريص على أن لا أحمل القرآن على النظريات التي يكشفها الإنسان). . . مع هذا الحرص، فإن هذا التعبير يقسرني قسراً على النظر في موضوع كروية الأرض. . . إلخ) في ظلال القرآن، ٢٤/ ١٢ ـ ١٣.

وعند قوله تعالى: ﴿وَمِن كُلِّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَا زَوۡجَيۡنِ . . .﴾ [الذاريات: ٤٩] تكلم عن عموم الزوجية بما فيها زوجية الذرة مؤلفة من زوج من الكهرباء موجب وسالب (في ظلال القرآن ٢٧/ ٢٥).

وعند قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ مِن فَوۡقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقۡوَٰتَهَا فِيٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّامٖ . . .﴾ [فصلت: ١٠] تكلم الأستاذ عن تكون السموات والأرض وعن تكون القشرة الأرضية بالتفصيل ونقل أشياء عن الكتب العلمية الحديثة (في ظلال القرآن ٢٤/ ١١٤ ـ ١١٩).

وانظر أيضاً على سبيل المثال: تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ . . .﴾ [الأعراف: ١٧٢] في ظلال القرآن ٩/ ٩٨. وتفسير قوله تعالى: ﴿. . . كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ . . .﴾ [البقرة: ١٨٣] في ظلال القرآن ٢/ ٧٤ ـ وتفسير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ خَلَقۡنَا ٱلنُّطۡفَةَ عَلَقَةٗ . . .﴾ [المؤمنون: ١٤] في ظلال القرآن ١٨/ ١٥ ـ ١٦. وتفسير قوله تعالى: ﴿يَخۡرُجُ مِنۢ بَيۡنِ ٱلصُّلۡبِ وَٱلتَّرَآئِبِ﴾ [الطارق: ٧] في ظلال القرآن ٣٠/ ١٩٩. وتفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحۡمَ ٱلۡخِنزِيرِ . . .﴾ [البقرة: ١٧٣] في ظلال القرآن ٢/ ٥٧.

والعلامة الطباطبائي صاحب الميزان.

انظر تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَرۡسَلۡنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ . . .﴾ [الحجر: ٢٢] في تفسير الميزان ١٢/ ١٤٦. وتفسير قوله تعالى: ﴿وَخَلَقۡنَا لَهُم مِّن مِّثۡلِهِۦ مَا يَرۡكَبُونَ﴾ [يٓس: ٤٢] في تفسير الميزان ١٧/ ٩٢. وتفسير قوله تعالى: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَزۡوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ . . .﴾ [يٓس: ٣٦] في تفسير الميزان ١٧/ ٨٧. وتفسير قوله تعالى: ﴿. . . أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ كَانَتَا رَتۡقٗا فَفَتَقۡنَٰهُمَاۖ . . .﴾

[الأنبياء: ٣٠] في تفسير الميزان ١٤/ ٢٧٧. وتفسير قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِي ٱلْأَرْضِ رَوَاسِيَ . . .﴾ [الأنبياء: ٣١] في تفسير الميزان ١١/ ٢٨٨. وتفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ . . .﴾ [يٓس: ٣٩] في تفسير الميزان ١٧/ ٩٠. وتفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الذاريات: ٤٧] في تفسير الميزان ١٨/ ٣٨٢. وتفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا . . .﴾ [يٓس: ٣٨] في تفسير الميزان ١٧/ ٨٩.

مراجع البحث

* القرآن الكريم.
* صحيح البخاري.
* صحيح مسلم.
* سنن الترمذي.
* الألوسي، شهاب الدين محمود، روح المعاني، بيروت.
* ابن عاشور، محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، تونس ١٩٨٤.
* ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، القاهرة، دار الشعب، ١٣٩٠/ ١٩٧١.
* الذهبي، الدكتور /محمد حسين، التفسير والمفسرون، القاهرة، ١٣٨٩/ ١٩٧١.
* رشيد رضا، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) القاهرة، ١٣٧٩/ ١٩٦٠.
* سعيد النورسي، بديع الزمان، إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، بيروت، ١٣٩٤/ ١٩٧٤.
* سيد قطب، في ظلال القرآن، بيروت.
* الشاطبي، أبو إسحاق، الموافقات، القاهرة، ١٣٨١/ ١٩٦١.
* شحاتة، الدكتور عبد اللَّه، تفسير الآيات الكونية، القاهرة، ١٤٠٠/ ١٩٨١.
* شلتوت، محمود، تفسير القرآن الكريم، القاهرة، دار القلم.
* الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن.
* الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، القاهرة، الحلبي، ١٣٨٨/ ١٩٦٨.
* المراغي، أحمد مصطفى، تفسير المراغي، مصر، ١٣٨٩/ ١٩٦٩.

٣

خلاصة بحث التفسير العلمي للقرآن بين المجيزين والمانعين

للشيخ محمد الأمين ولد الشيخ

خلاصة بحث التفسير العلمي للقرآن بين المجيزين والمانعين

ينقسم أعلامنا الفضلاء في (موضوع التفسير العلمي للقرآن) إلى فريقين: فريق يجيز التفسير العلمي للقرآن، ويدعو إليه، ويرى فيه فتحاً جديداً وتجديداً في طرق الدعوة إلى اللَّه، وهداية الناس إلى دين اللَّه.

وفريق يرى في هذا اللون من التفسير خروجاً بالقرآن عن الهدف الذي أنزل من أجله، وإقحاماً له في مجال متروك للعقل البشري، يجرب فيه، ويصيب ويخطئ.

لذلك كان لا بد من بحث القضية، ولا بد من استعراض الأدلة، ومناقشة حجج الفريقين المجيزين والمانعين.

المجيزون للتفسير العلمي للقرآن الكريم:

أما مجيزو التفسير العلمي وهم الكثرة، فيمثلهم الإمام محمد عبده، وتلميذه الشيخ محمد رشيد رضا، والشيخ عبد الحميد بن باديس، والشيخ محمد أبو زهرة، ومحدث المغرب أو الفيض أحمد بن صديق الغماري، ونستطيع أن نعد منهم الشيخ محمد الأمين الشنقيطي، صاحب أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن.

وهؤلاء الذين يتبنون التفسير العلمي للقرآن يضعون له الحدود التي تسد الباب أمام الأدعياء الذين يتشبعون بما لم يعطوا.

ومن هذه الحدود:

١ ـ ضرورة التقيد بما تدل عليه اللغة العربية فلا بد من:

أ ـ أن تراعى معاني المفردات كما كانت في اللغة إبان نزول الوحي.

ب ـ أن تراعى القواعد النحوية ودلالاتها.

ج ـ أن تراعى القواعد البلاغية ودلالاتها. خصوصاً قاعدة أن لا يخرج اللفظ من الحقيقة إلى المجاز إلا بقرينة كافية.

٢ ـ البعد عن التأويل في بيان إعجاز القرآن العلمي.

٣ ـ أن لا تجعل حقائق القرآن موضع نظر، بل تجعل هي الأصل: فما وافقها قبل وما عارضها رفض.

٤ ـ أن لا يفسر القرآن إلا باليقين الثابت من العلم لا بالفروض والنظريات التي لا تزال موضع فحص وتمحيص. أما الحدسيات والظنيات فلا يجوز أن يفسر بها القرآن، لأنها عرضة للتصحيح والتعديل إن لم تكن للإبطال في أي وقت.

المانعون من التفسير العلمي:

أما المانعون من التفسير العلمي فيمثلهم في هذا العصر شيخ الأزهر الأسبق الشيخ محمود شلتوت، والأستاذ سيد قطب، ود. محمد حسين الذهبي.

وهؤلاء المانعون يقولون:

١ ـ إن القرآن كتاب هداية، وإن اللَّه لم ينزله ليكون كتاباً يتحدث فيه إلى الناس عن نظريات العلوم، ودقائق الفنون، وأنواع المعارف.

٢ ـ إن التفسير العلمي للقرآن يعرض القرآن للدوران مع مسائل العلوم في كل زمان ومكان، والعلوم لا تعرف الثبات ولا القرار ولا الرأي الأخير.

٣ ـ إن التفسير العلمي للقرآن يحمل أصحابه والمغرمين به على التأويل المتكلف الذي يتنافى مع الإعجاز، ولا يسيغه الذوق السليم.

٤ ـ ثم يقولون: إن هناك دليلاً واضحاً من القرآن على أن القرآن ليس كتاباً يريد اللَّه به شرح حقائق الكون، وهذا الدليل هو ما روي عن معاذ أنه قال: يا رسول اللَّه إن اليهود تغشانا ويكثرون مسألتنا عن الأهلة. فما بال الهلال يبدو دقيقاً ثم يزيد حتى يستوي ويستدير، ثم ينقص حتى يعود كما كان. فأنزل اللَّه هذه الآية: ﴿**يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ** . . .﴾ [البقرة: ١٨٩].

ولكن هل تكفي هذه الحجج لرفض التفسير العلمي؟

- إن كون القرآن كتاب هداية لا يمنع أن ترد فيه إشارات علمية يوضحها التعمق في العلم الحديث، فقد تحدث القرآن عن السماء، والأرض، والشمس والقمر، والليل والنهار، وسائر الظواهر الكونية. كما تحدث عن الإنسان، والحيوان والنبات.
- ولم يكن هذا الحديث المستفيض منافياً لكون القرآن كتاب هداية، بل كان حديثه هذا أحد الطرق التي سلكها لهداية الناس.
- أما تعليق الحقائق التي يذكرها القرآن بالفروض العلمية فهو أمر مرفوض، وأول من رفضه هم المتحمسون للتفسير العلمي للقرآن.
- أما أن هذا اللون من التفسير يتضمن التأويل المستمر، والتمحل، والتكلف، فإن التأويل بلا داع مرفوض، وقد اشترط القائلون بالتفسير العلمي للقرآن شروطاً من بينها أن لا يعدل عن الحقيقة إلى المجاز إلا إذا قامت القرائن الواضحة التي تمنع من إرادة الحقيقة.

أما الاستدلال بما ورد في سبب نزول الآية: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ﴾ [البقرة: ١٨٩] فهو بحاجة إلى أن يثبت وإلا فهو معارض بما رواه الطبري في تفسيره عن قتادة في هذه الآية: قالوا سألوا النبي ﷺ لم جعلت هذه الأهلة؟ فأنزل اللّه فيها ما تسمعون ﴿هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٨٩] فجعلها لصوم المسلمين ولإفطارهم ولمناسكهم وحجهم ولعدة نسائهم ومحل دينهم في أشياء واللّه أعلم بما يصلح خلقه.

وروي عن الربيع وابن جريج مثل ذلك.

ففي هذه الروايات التي ساقها الطبري(١)، إن السؤال هو: لم جعلت هذه الأهلة؟ وليس السؤال ما بال الهلال يبدو دقيقاً ثم يزيد حتى يستوي ويستدير ثم ينقص لذلك فإنه لا دليل في الآية على إبعاد التفسير العلمي.

والخلاصة:

- أن التفسير العلمي للقرآن مرفوض إذا اعتمد على النظريات العلمية التي لم

(١) الطبري المحقق ج٣ ص ٥٥٤ (الهيئة).

تثبت ولم تستقر ولم تصل إلى درجة الحقيقة العلمية.

- ومرفوض إذا خرج بالقرآن عن لغته العربية.
- ومرفوض إذا صدر عن خلفية تعتمد العلم أصلاً وتجعل القرآن تابعاً.
- وهو مرفوض إذا خالف ما دل عليه القرآن في موضع آخر، أو دل عليه صحيح السُّنة.
- وهو مقبول بعد ذلك إذا التزم القواعد المعروفة في أصول التفسير من الالتزام بما تفرضه حدود اللغة، وحدود الشريعة، والتحري والاحتياط الذي يلزم كل ناظر في كتاب اللَّه.
- وهو ـ أخيراً ـ مقبول ممن رزقه اللَّه علماً بالقرآن وعلماً بالسّنن الكونية لا من كل من هب ودب، فكتاب اللَّه أعظم من ذلك.
- وآخر دعوانا أن الحمد للَّه رب العالمين.

المراجع

١ ـ إحياء علوم الدين لحجة الإسلام الغزالي.

٢ ـ الإتقان في علوم القرآن للسيوطي / الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٣ ـ الإسلام في عصر العلم / الدكتور محمد أحمد الغمراوي / مطبعة السعادة.

٤ ـ إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين للزبيدي / دار الفكر.

٥ ـ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشيخ محمد الأمين الشنقيطي / مطبعة المدني.

٦ ـ الاتجاهات المنحرفة في تفسير القرآن الكريم / د. محمد حسين الذهبي/ دار الاعتصام.

٧ ـ تعليقات الشيخ عبد اللَّه دراز على الموافقات.

٨ ـ تفسير المنار للشيخ محمد رشيد رضا / الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٩ ـ تهذيب التهذيب لابن حجر / مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية / الهند.

١٠ ـ تفسير ابن باديس / دار الفكر.

١١ ـ تفسير القرآن للشيخ محمود شلتوت / دار القلم.

١٢ ـ التفسير الكبير للفخر الرازي / المطبعة البهية المصرية.

١٣ ـ جامع الأصول لابن الأثير / مطبعة الملاح.

١٤ ـ جامع البيان في تفسير القرآن للطبري / مطبعة الحلبي.

١٥ ـ جواهر القرآن للشيخ طنطاوي جوهري.

١٦ ـ درء تعارض العقل والنقل / ابن تيمية.

١٧ ـ الرسول ﷺ / الشيخ سعيد حوى.

١٨ ـ سنن الترمذي ـ مطبعة الحلبي.

١٩ ـ صحيح البخاري / مطبعة الحلبي.

٢٠ ـ صحيح مسلم بشرح النووي / المطبعة المصرية.

٢١ ـ فيض القدير شرح الجامع الصغير / دار المعرفة للطباعة والنشر.

٢٢ ـ مختصر سنن أبي داود للمنذري / مطبعة السُّنة المحمدية.

٢٣ ـ مختلف الحديث لابن قتيبة / دار القومية العربية للطباعة والنشر.

٢٤ ـ المعجزة الكبرى: القرآن محمد أبو زهرة / دار الفكر العربي.

٢٥ ـ مطابقة الاختراعات العصرية لما أخبر به سيد البرية للشيخ أحمد بن الصديق الغماري.

٢٦ ـ مجموع فتاوى ابن تيمية.

التوصيات
الصادرة عن المؤتمر

مقدمة:

تم ـ بعون اللَّه تعالى وتوفيقه ـ عقد المؤتمر العالمي الأول للإعجاز العلمي في القرآن والسُّنة في مدينة إسلام آباد بباكستان في الفترة من ٢٥ ـ ٢٨ من صفر ١٤٠٨هـ الموافق ١٨ ـ ٢١ أكتوبر ١٩٨٧م، وذلك تحت الرعاية المشتركة للجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد، وهيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسُّنة، ورابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة.

وقد اشترك في هذا المؤتمر ٢٢٨ عالماً ينتمون إلى ٥٢ دولة كما شارك في هذا المؤتمر ١٦٠ مراقباً.

ولقد قدم المؤتمر ٧٨ بحثاً علمياً غطت ١٥ تخصصاً علمياً، تم اختيارها من بين أكثر من ٥٠٠ بحث وردت للجنة المنظمة للمؤتمر من كل أنحاء العالم.

ولقد تمت مناقشة تلك البحوث عبر ست جلسات عامة بالإضافة إلى عدد من جلسات العمل المتخصصة. وتم استبعاد ستة بحوث لعدم حضور أصحابها لإلقائها بالمؤتمر.

والإعجاز العلمي يعني تأكيد الكشوف العلمية الحديثة الثابتة والمستقرة للحقائق الواردة في القرآن الكريم والسُّنة المطهرة بأدلة تفيد القطع واليقين باتفاق المتخصصين.

وتهدف دراسته وإجراء البحوث فيه إلى إثبات صدق محمد ﷺ فيما جاء به من الوحي بالنسبة لغير المؤمنين، وتزيد الإيمان وتقوي اليقين في قلوب المؤمنين وتكشف لهم عن عجائبه وأسراره، وتعينهم على فهم حكمه وتدبر مراميه.

ويعتمد الإعجاز العلمي على الحقائق المستقرة التي تثبت بأدلة قطعية، ويشهد بصحتها جميع أهل الاختصاص، دون الفروض والنظريات.

كما يجب أن يدل نص الكتاب أو السُّنة على الحقيقة العلمية بطريق من طرق الدلالة الشرعية، وفقاً لقواعد اللغة ومقاصد الشارع وأصول التفسير، فإن خرجت الحقيقة العلمية المدعاة عن جموع معاني النص لم تكن حقيقة في الواقع ونفس الأمر.

ويجب أن يكون الباحث في مجال الإعجاز العلمي في القرآن والسُّنة من العلماء المشهود لهم بالتأهيل العلمي في مجال تخصصه، فإضافة إلى قدرته على فهم النصوص الشرعية من مصادرها، والاستنباط منها، وفق قواعد اللغة وأصول التفسير وعليه أن يستشير المتخصصين في العلوم الشرعية فيما يخفى عليه وجه الإعجاز فيه.

ويستحسن أن تقوم بهذه البحوث مجموعات عمل تجمع الخبراء في العلوم الكونية والشرعية.

وتقوم لجان الخبرة ومجموعات العمل التي تجمع المفسرين والعلماء الكونيين بإعداد البحوث وإجراء الدراسات في مجال الإعجاز العلمي حتى توجد المؤسسات التعليمية التي تخرج العالم بمعاني التنزيل وحقائق العلم.

توصيات المؤتمر

التوصية الأولى

دراسة الإعجاز العلمي في الجامعات :

يوصي المؤتمر الجامعات والمؤسسات التعليمية بالعناية بقضايا الإعجاز العلمي في القرآن والسُّنة في مناهجها الدراسية، والعمل على إعداد وتدريس مادة جديدة في كل كلية أو معهد تعنى بدراسة آيات وأحاديث الإعجاز العلمي الداخلة في تخصص هذه الكلية أو المعهد، وذلك لربط حقائق العلم بالوحي، تعميقاً للإيمان وتقوية لليقين في قلوب الدارسين.

التوصية الثانية

إعداد تفسير ميسر :

يوصي المؤتمر هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسُّنة، بالتعاون والتنسيق بين الجامعات ومراكز البحوث والهيئات والمنظمات الإسلامية في البلاد الإسلامية، بإعداد تفسير ميسر للقرآن الكريم يعني بوجه خاص الآيات الكونية الواردة فيه.

التوصية الثالثة

ترجمة معاني القرآن الكريم :

يوصي المؤتمر هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسُّنة بالتعاون والتنسيق بين الجامعات ومراكز البحوث والهيئات والمنظمات الإسلامية بإعداد ترجمة دقيقة لمعاني القرآن الكريم، مصحوبة بتعليقات وافية عن الآيات الكونية الواردة فيه، لتعين الباحثين من غير الناطقين بالعربية في مجال الإعجاز العلمي في القرآن.

التوصية الرابعة

إصدار مجلة علمية:

يوصي المؤتمر هيئة الإعجاز العلمي بإصدار مجلة علمية ذات مستوى عالمي رفيع باللغتين العربية والإنجليزية تعنى بنشر البحوث المتخصصة في مجال الإعجاز العلمي في القرآن والسُّنة بعد إجازتها من المتخصصين في العلوم الإسلامية وعلوم الكون.

التوصية الخامسة

تشجيع بحوث الإعجاز:

يوصي المؤتمر الجامعات ومراكز البحوث في البلاد الإسلامية بتشجيع البحوث والدراسات في مجال الإعجاز العلمي في القرآن والسُّنة، وتخصيص المنح الدراسية لطلاب الدراسات العليا، ورصد الجوائز المالية لغيرهم من الباحثين في هذه المجال.

التوصية السادسة

مراكز بحوث الإعجاز العلمي:

يوصي المؤتمر الجامعات والمؤسسات العلمية والهيئات والمنظمات العاملة في حقل الدعوة الإسلامية في العالم الإسلامي بإنشاء مراكز متخصصة لبحوث الإعجاز العلمي في القرآن والسُّنة، كما يوصي الجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد بأن تبادر بإنشاء أول مركز لهذا الغرض.

التوصية السابعة

تمويل نشاط الهيئة:

يناشد المؤتمر الحكومات والهيئات والمؤسسات المالية ورجال الأعمال في البلاد الإسلامية أن يقدموا الدعم المالي لهيئة الإعجاز العلمي ومراكز البحوث التي تنشئها لتمكينها من تمويل نشاطاتها تحقيقاً للهدف الذي قامت من أجله من عقد المؤتمرات والندوات وحلقات البحث، وإعداد

البحوث والدراسات التي تعمق الإيمان وتقوي اليقين في قلوب المؤمنين وتخاطب غيرهم بلغة العصر التي يحتكمون إليها في قبول الإيمان، قياماً بواجب الأمة في تبليغ دعوة الإسلام بالحجة والدليل والبرهان.

التوصية الثامنة

الدعوة للبحوث العلمية الأصلية:

يوصي المؤتمر هيئة الإعجاز العلمي وغيرها بالاهتمام بعقد الندوات المتخصصة وحلقات البحث، وتكوين مجموعات ولجان الخبرة، لتطوير البحوث في مجال الإعجاز العلمي، ووضع خطة متكاملة لها توزع على الجامعات والمراكز البحوث في داخل البلاد الإسلامية وخارجها تمهيداً لعقد المؤتمرات الدورية التي تعرض فيها هذه البحوث الجديدة.

التوصية التاسعة

البحوث العلمية والكشوف الحديثة:

يدعو المؤتمر الجامعات ومراكز البحوث في البلاد الإسلامية والعلماء المسلمين في العالم، إلى التعاون على إعداد خطة بحوث متكاملة في المجالات العلمية المختلفة والعمل على تنفيذها بالتعاون والتنسيق فيما بينهما، امتثالاً لدعوة القرآن الكريم للمسلمين إلى البحث والنظر والتدبر في آيات اللَّه في آفاق الكون وفي النفس لاكتشاف الحقائق العلمية والسنن الكونية واستخدامها في توفير سبل القوة وأسباب العزة للمسلمين، وانتشالهم من التبعية الكاملة لغيرهم في مجال العلوم والتكنولوجيا.

كما يوصي المؤتمر الحكومات الإسلامية باتخاذ الخطوات العلمية لجذب العقول الإسلامية المهاجرة للمشاركة في تنمية وتقدم مجتمعاتهم كما يوصي الهيئات والمؤسسات المالية ورجال الأعمال بالمساهمة في تمويل مشروعات البحوث التي تقوم بها الجامعات ومراكز البحوث والأفراد.

التوصية العاشرة

نشر بحوث المؤتمر وإعلان نتائجها:

يوصي المؤتمر هيئة الإعجاز العلمي بنشر بحوث المؤتمر بعد مراجعتها على ضوء المناقشات التي دارت في جلسات المؤتمر وكذلك التقارير والتوصيات باللغتين العربية والإنجليزية واستثمار نتائجها. في الدعوة إلى الإسلام، تحقيقاً للهدف من هذه البحوث، مع الاستعانة في ذلك بتقنيات العصر في الإخراج والعرض ووسائل الإعلام الحديثة في التأثير والإقناع، كما يوصي المؤتمر الهيئة بإعداد سلسلة من المحاضرات في الجامعات ومعاهد العلم وتكليف العلماء المهتمين بهذا الموضوع بإلقائها ودعوة الصحف ووسائل الإعلام في البلاد الإسلامية للمشاركة بإعداد البرامج ونشر المقالات في هذا المجال.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات